مجلة المختار للعلوم الإنسانية 20 (1): 126-173، 2012

Research Article

Open Access

الدور الإعلامي لكعب بن معدان الأشقري

يونس إبراهيم أبو مصطفى

Doi: https://doi.org/10.54172/1dk10t74

المستخلص : تتناول هذه الدراسة حياة وإسهامات كعب بن مالك الأشقري الأزدي، وهو شاعر ومقاتل وخطيب بارز في العصر الأموي، وكان له دور كبير في الفتوحات الإسلامية في منطقة خراسان. الهدف الأساسي من هذا المقال هو توضيح الدور الإعلامي الكبير والمتعدد الأوجه الذي لعبه هذا الشاعر المتميز، مع تقييم دقيق لدرجة الفعالية التي تحققت فيه. كما يسعى إلى توضيح أثر الولاء القبلي على الدور الإعلامي للعرب منذ عصور ما قبل الإسلام وحتى العصور الإسلامية اللاحقة.

الكلمات المفتاحية: كعب بن مالك، الشعر، الدور الإعلامي، العرب، العصبية القبلية

The Media Role of Ka'b b. Mālik al-Ashqarī

Younis Ibrahim Abu Mustafa

Abstract: This study delves into the life and contributions of Ka'b b. Mālik al-Ashqarī al-Azdī, a prominent poet, warrior, and orator during the Umayyad era, who played a significant role in the Islamic conquests in the region of Khurasan. The primary objective of this article is to elucidate the substantial and multifaceted media role assumed by this distinguished poet, with a meticulous evaluation of the degree of efficacy achieved therein. Furthermore, it seeks to clarify the impact of Tribalism on the media role of the Arabs from pre-Islamic times to the later Islamic periods.

Keywords: Ka'b b. Mālik; Poetry, Media role, Arabs, Tribalism

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

سبق أن تحدّثت عن الدّور الإعلامي لكعب بن مالك الأنصاري في طور النّبوة ، فقد أدّى دوراً إعلامياً مهمّاً ، وحقّق أهدافاً سامية في سبيل نشر الدّعوة الإسلامية ، والحثّ على الجهاد .

وتشاء الأقدار أن أتناول الدّور الإعلامي لكعب بن معدان الأشقري الأزدي من شعراء عُمان ، عاش في العصر الأموي ، أحد أفذاذ تراثنا العربي الإسلامي ، فارس وشاعر وخطيب ، معدود من الشّجعان ، من أصحاب المهلّب بن أبي صفرة والمذكورين في حروبه للأزارقة " [1] .

ذكر صاحب الأغاني عن الفرزدق أنّه قال " شعراء الإسلام أربعة : أنا وجرير والأخطل ، وكعب الأشقري " [2] .

وذكر أيضاً أنّه قيل للفرزدق أنّه قد نبغ من شعراء عُمان من الأزد يُقال له "كعب " فقال : " إيّ والّذي خلق الشّعر " [3] .

هذا الشّاعر العُماني المفلق ، الخطيب المصقع ، الفارس المغوار عاصر أحداثاً تاريخية مهمّة ونبغ حيث التّنافس كان سائداً بين الفرق الإسلامية شعراً ونثراً ، فقد ضرب بسهم وافر في إثراء شخصيته الشّعرية والخطابية ،كما أنّه خاض مع المهلّب بن أبي صفرة حرباً ضروساً ضد الأزارقة سايرها بسيفه ولسانه ، ممّا أضفى على شعره حيوية وحركية ، وهو يصوّر بسالة المجاهدين ويخصّ زعيمهم المهلّب بمدح نحت ألفاظه من قلبه ، لأنّه رآه بأم عينيه يقصم ظهر هذا ، ويفصل رأس ذاك ، مدفوعاً بحبّه للفروسية وتعصّبه العنيف للأزد ، وبعد أن توفي المهلّب اتّصل ببنيه ورافقهم في فتوحاتهم ومغازيهم فسجّل انتصاراتهم بشعره وأثنى على آل المهلّب خير ثناء .

ثم إنّه قصد قتيبة بن مسلم الّذي تولّى إدارة خراسان بدلاً من المهالبة الّذين عزلهم الحجّاج بن يوسف وحارب معه التّرك وأُعجب بانتصاراته ، وقد كان ذلك نقطة تحوّل في حياة هذا الشّاعر المتعصّب لقومه الأزد ، فقد هجا يزيد بن المهلّب لفشله العسكري في فتح خوارزم ، فقد حاصر المدينة واستعصت عليه .

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني 14 / 266 ، والزّركلي ، الأعلام 5 / 229 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني 14 / 266 .

[3] – المصدر نفسه 14 / 266 .

لذا رأيت أن أدرس الدّور الإعلامي لهذا الشّاعر الفارس ، فقد لعب الإعلام ومازال دوراً مهماً في دعم ومساندة أية فكرة تطرح ويراد لها الانتشار والبقاء .

لقد كان المجتمع الجاهلي يدرك حقيقة مدى أهمية الشّعر والشّعراء في ذلك العصر باعتبارها الوسيلة الإعلامية المهمّة الّتي لابُدّ منها لهذه القبيلة أو تلك ، لمجابهة أيّة قبيلة في شأن المفاخرات والمنابذات للذّب والدّفاع عنها ، فالشّاعر لسان قبيلته ، النّاطق الرّسمي باسمها يدافع عنها وينافح بلسانه وسيفه ما استطاع .

وعندما بزغ فجر الإسلام وأشرقت الأرض بنور ربّها أدرك الرّسول ρ أهمية الحرب الكلامية ، فقد شنّ كفار قريش حرباً إعلامية للنّيل من الدّعوة الإسلامية فاختار الرّسول ρ ثلاثة شعراء حسب تخصّصهم للرّد على شعراء قريش ، والدّفاع عن الدّعوة الإسلامية ورسالتها .

واستمر الشّعر العربي في تألّقه في العصر الأموي ،إذ ساعدت ظروف الحياة ومنجزات الدّولة آنذاك على توسيع مجالات القول وإثراء اللّغة ، فقد وجد الشّعراء في تعدّد الآراء السّياسية وتباين الأحزاب والجماعات ، وإيمان القادة بدور الشّعر والعقيدة ، ووجدوا في ذلك كلّه سبيلاً إلى الاهتمام بأمور الدّولة ، فظهر الشّعر السّياسي ، الّذي يُعدّ من أبرز ملامح الشّعر في العصر الأموي ، ووجد الشّعراء مجالاً جديداً للإبداع الفنيّ في معارك الفتح ومواطن الظّفر والنّصر وساعات القتال ، والصّراع السّياسي والفكري الّذي وقع بين أطراف الصّراع خلال العصر الأموي ، وكان الشّعراء يواكبون هذه الحياة الثّرية بمشاركتهم الفعلية أو إسهاماتهم الفنيّة .

وكعب بن معدان أحد فحول الشّعر الأربعة في العصر الأموي المعدود من شعراء المهلّب ومن فرسانه الّذين اشتهروا في حرب الخوارج بشجاعتهم ، وأحد شعراء ذلك العصر الّذين أدّوا دوراً إعلامياً مهمّاً ، فهو واحد من الشّواهد التّاريخية في هذه الحقبة من حقب تاريخ هذه الأمة المجاهدة من خلال شعره الّذي وظّفه لتوثيق المواقف المختلفة ، والمعاني البطولية الّتي وقف عندها عن كثب حين لازم الأحداث الّتي مرّ بها ملازمة الموثّق الحقيقي ، والمعاين القريب منها ، فقد رافق المهلّب بن أبي صفرة وبنيه في فتوحاتهم في خراسان ، وسجّل ما أبصرته عيناه وأحسّ به قلبه تسجيلاً دقيقاً موثّقاً .

وكان لحضور قبيلته الأزد أثر في شعره ، إذ كانت تمثّل هذه القبيلة الكبيرة أكثر المشاركين في الفتوحات والمعارك الّتي خاضها الجيش الأموي في فتوحاته وفي حروبه ضد الخوارج وسواهم من الأطراف الأخرى .

وكان الهدف من هذه الدّراسة هو بيان الدّور الإعلامي الّذي سجّله هذا الشّاعر ومدى نجاحه في ذلك ، وأثر العصبية القبليّة في هذا الدّور ، ولبيان أنّ للشّعر دوراً إعلامياً مهمّاً بدءاً من عصر ما قبل الإسلام وصولاً إلى عصر هذا الشّاعر وما بعده .

وأغلب الظّن أنّ أحداً من الدّارسين والباحثين لم يتناول هذا الموضوع بالدّراسة المفصّلة ، وإن تطرّق بعض الدّارسين إلى هذا الشّاعر في ثنايا دراساتهم العامّة، وعلى رأسهم د. حسين عطوان في كتابه : الشّعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، ود. الهادي حمودة الغزيّ في كتابه : الشّعر الأموي في خراسان والبلاد العربية ، ود. شوقي ضيف في كتابه : العصر الإسلامي .

والبحث يحتوى على مقدّمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، تناول المبحث الأوّل : مفهوم العصبية ، وكان المبحث الثّاني عن المدح ووصف المعارك وإقليم خراسان ، وتطرّق المبحث الثّالث إلى الهجاء واللّوم والشّماتة والاعتذار والشّكوى .

لم تواجهني صعوبة تذكر ، بيد أنّي لم أستطع الحصول على كتاب صدر حديثاً من دار الكتب الوطنية في الإمارات بعنوان شعر كعب بن معدان تحقيق أحمد محمّد عبيد

وقد اعتمدت المنهج التّاريخي في تتبع الأحداث السّياسية والعسكرية ، وعلى المنهج الوصفي التّحليلي عند معالجة النّصوص الشّعرية .

والجدير بالذّكر أنّ الدّين الإسلامي حارب العصبية وأخمد نارها في صدر الإسلام ، لكنّها أطلّت بوجهها البشع في العصر الأموي وما تلاه.

مفهوم العصبية :

لعلّه من المفيد أن نتعرّف على مفهوم العصبية .

العصبية عند أهل اللّغة مأخوذة من العُصْبة ، و " العُصْبة من النّاس بين العشرة إلى الأربعين " [4] ، وذلك قول إخوة يوسف υ : (لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ) [5] .

وقد تأتي بمعنى الاجتماع والشّدّة فيقال : " رجل معصوب الخلق " [6] ، أي شديدة متكاملة ، ويُقال : " عصب القوم بفلان : أحاطوا به " [7]

والعَصَبةُ الأقارب من جهة الأب ، لأنّهم يُعصّبُونه ، ويعتصّب بهم أي يحيطون به، ويشتدّ بهم ، والعصبيّة والتّعصّب المحاماة والمدافعة ، وتعصّبنا له ومعه نصرناه ، وعصبة الرّجل قومه الّذين يتعصّبون له [8] .

والعصبيّة كما كانت في الجاهليّة " أن يدعو الرّجل إلى نصرة عَصَبته والتّألّب معهم على من يناويهم ظالمين كانوا أو مظلومين ، وقد تعصّبوا عليهم إذا اجتمعوا ، فإذا تجمّعوا على فريق آخر ، قيل : تعصّبوا " [9] .

تلك هي حميّة الجاهليّة الّتي يقول الله عنها : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) [10] .

وسُئل النّبي ρ عن العصبية فقال : " أن تعين قومك على الظّلم " [11] ، والعصبيّ هو الّذي يغضب لِعَصَبَته ، ويحامي عنهم ويعينهم حتّى ولو على الظّلم .

---

4 – ابن دريد ، جمهرة اللّغة 1 / 297 .

5 – سورة يوسف ، الآية : 14.

6 – أحمد بن فارس ، مجمل اللّغة 3 / 493 .

7 – المصدر نفسه 3 / 493 .

8 – يُنظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عصب) 2 / 96 .

9 – يُنظر ، المصدر نفسه ، مادة (عصب) 2 / 96 .

10 – سورة الفتح ، من الآية : 26 .

11 – سنن أبي داود 5 / 341 .

والأصل في العصبية أن تُبنى على وحدة الدّم وعلى لحمة النّسب ، وقد علّل ابن خلدون ذلك بقوله : " وذلك أنّ صلة الرّحم طبيعي في البشر ، إلا في الأقل ، ومن صلتها النّعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم ، أو تصيبهم هلكة ، فإنّ القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ، ويودّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك ، نزعة طبيعية في البشر قد كانوا ... " [12] .

واللافت للانتباه أنّ العصبية في المجتمع القبلي لا تكون لقرابة الرّجل وذوي رحمه الأقربين فحسب ، وإنّما تكون للقبيلة بأسرها ، على تفاوت شدّة هذه العصبية تحدّده درجات القرابة في إطار القبيلة الواحدة ، فالعصبية لذوي الرّحم أقوى منها للبُعداء ، لذا كانت التّبعات الّتي فرضتها العصبية كالثّأر وأن يُخِل هذا التّفاوت في وحدة القبيلة ، فالعصبية القبلية تضم جميع أفراد القبيلة في إطار واحد ، وتفرض عليهم حقوقاً وواجبات مشتركة ، وكلّ واحد في القبيلة يشعر أنّه مسؤول عن كلّ فرد ينتمي إليها [13] .

لذا كانت من أخطر الظّواهر الاجتماعية ، فهي تنافي الشّعور القومي ، لأنّها تجزّئ الأمة الواحدة إلى جماعات متعادية متنابذة لا تؤلّف بينها عقيدة قومية جامعة ، فكلّ جماعة منها تعيش لذاتها ولا تعنيها إلا منفعتها الخاصّة ، كما أنّها تتنافى مع الشّعور الإنساني ، فهي لا تسعى إلى إقامة علاقات طيبة تضم جميع وحدات المجتمع القبلي ، إذ هي تدين بعقيدة أن كلّ من لم يكن منّا فهو عدونا ، وأنّ البقاء في هذا المجتمع لمن له الغلبة ، وليس حقّاً مشاعاً لجميع القبائل [14] .

لذا حارب الإسلام العصبية الجاهلية ودعا إلى وحدة الأمة (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [15] .

ومع أنّها كانت الرّوح الّتي وجهت العرب آنذاك ، وسيطرت على بعض قيمهم وأخلاقهم ، فقد كان من خُلقهم في شعرهم الحماسي وفخرهم الحرص على الأخذ بالثّأر ، وتحفيز الهمّم للنّزال والقتال ،

---

12 – مقدّمة ابن خلدون ، ص 128 .

13 – د. إحسان النّص ، العصبية القبلية وأثرها في الشّعر الأموي ، ص 105 .

14 – المرجع السّابق ، ص 128 .

15 – سورة المؤمنون ، الآية : 52 .

فيتمثّل في اعتزاز العربي بعصبيته وصون كرامته ، والحفاظ على هذه الكرامة إنّما هو حفاظ على حياته نفسها وكيانه في مجتمع تحكمه شريعة الغاب ، فمن لم يذد عن حوضه بسلاحه يركب للشّر كلّ مركب إذا أبدى ناجذيه لا مكان له في هذا المجتمع .

وقد كانت معاني الثّأر أوّل المعاني الّتي تعبّر عن روح العصبية ، " وهذا الخُلق على ما فيه من شر – يتّصل بكرامة العربي – الّتي تدفعه إلى أن يقتص بنفسه من المعتدين مادامت تنقصه الشّريعة الّتي يدين بها المجتمع " (16) .

وهذا يعني أنّ العصبية لم تَحُل بين العرب وبين التّمسّك ببعض القيم والفضائل الّتي أقرّها الإسلام ونمّاها إلى أن وصلت إلى قمة الكمال لأنّها متّصلة بالكمال الإلهي المطلق ، ولم تكن قيم العصبية كلّها ممّا يرفضه الدّين وتنبذه طبيعة الحياة المتحضرة ، " فإذا كانت هذه العصبية قد دفعت العربي إلى الثّأر والدّماء والاعتزاز بالقوّة والرّغبة في الطيش والعدوان ، فقد دفعته إلى الجانب الآخر إلى ضروب الشّجاعة والاستبسال والحفاظ على الكرامة والاعتزاز بالشّرف " (17) .

لست بصدد الدّفاع عن العصبية الجاهلية والاقتناع بها ، وإن كان لها جانب مشرق في نفس العربي الأبيّ ، الّذي فُطر على الخُلق القويم وأصبح عنده طبعاً وسجيّة ، فهذه العصبية أطلّت بوجهها البشع في عصر بني أمية في ظل الدّولة الإسلامية الفتية ، الّتي تستمد شريعتها ودستورها من مصادر التّشريع الإسلامي وعلى رأسها القرآن الكريم والسّنة الشّريفة ، هي الّتي دفعت شاعرنا الفارس الكمي إلى التّغنيّ بمعاني البطولة والإقدام والنّشوة بالانتصار ، ليرضي شعوره العصبي في وصفه لمعارك المهلّب وبنيه ، وإشادته ببطولاتهم وصولاتهم وانتصاراتهم ومآثرهم ، وكأنّه يحاكي الشّاعر العربي المتعصّب لقبيلته في العصر الجاهلي المتمسك بمعاني البطولة والحياة الكريمة في مجتمع قدّس القيم والمبادئ ، وقد كان آنذاك النّاطق الرّسمي باسم قبيلته – وإن شئت – النّاطق الإعلامي .

16 – د. سعيد منصور ، القيم الخُلقية في الخطابة العربية ، ص 25 .

17 – المرجع نفسه ، ص 33 .

وإذا استمعنا إلى أبيات شاعرنا النّاطق الإعلامي باسم قومه الأزد مفتخراً من خلال مدحه المهلّب بن أبي صفرة نستشعر قوّة تعصّب الشّاعر لقومه ، إذ يقول (18) :

سلوا أهل الأباطح من قريش عن العزّ المؤبّد أين صارا

ومن يحمي الثّغور إذا استعرّت حروبٌ لا ينون لها غِرارا

لقومي الأزد بالغمزات أمضي وأوفي ذمَّةً وأعزُّ جارا

همُ قادوا الجياد على وجاها من الأمصار يقذِفن المهارا

بكل مفازة وبكلّ سهبٍ بسابس لا يروْن لها مَنارا

وفي ذلك تأكيد على أنّ العصبية تدفع المرء إلى الفخر بالبطولة والشّجاعة والكرامة ، وهو بذلك يستثمر انتماءه القبلي ليقدّم الصّورة النّموذجية للبطل من خلال إضفاء مجموعة من المعاني والصّفات عليه ، فقد وجد في ذلك طريقة صالحة للتّعبير عن انتمائه الذّاتي إلى قبيلته الّتي حفل سجلها بمآثر البطولة (19) .

خراسان

مركز من مراكز الشّعر الأموي

اتّسعت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الثّاني ، فقد منّ الله I على عباده المتّقين بالنّصر المبيّن وفتحوا كثيراً من البلدان وارتفعت راية الإسلام خفاقة عالية ، فقد مضى جند البصرة شرقاً في عهد عمر بن الخطاب τ حتّى فتحوا خراسان وتوغّلوا فيها لعهد عثمان بن عفان τ فكان من الطّبيعي أن يحملوا معهم ما أخذت تستشعره القبائل البصرية من العصبيات القديمة ، وقد ازدادت ضراوة في صدورهم أنّ قادة الجيوش كانوا يكافَأون على انتصاراتهم بإسناد إدارة الجهات الّتي يفتحونها إليهم وكان القائد حين تُسند إليه ولاية يخصّ قبيلته بنصيب الأسد ، وكذلك كان يفعل الولاة من قبل الخليفة أو والي العراق ، فانطوت النّفوس

---

18 – الأصفهاني : الأغاني 14 / 278 – 280 . د. نوري القيسي ، شعراء أمويون 2 / 404 – 405 .

19 – يُنظر ، خليل إبراهيم ، معاني البطولة في شعر كعب بن معدان ، مجلة ديالي ، العدد السّادس والعشرون 2007 ، ص 427 .

على موجدة شديدة أدّت إلى معارك دامية ، كانت تعلو فيها القبيلة كما كان يعلو الثّأر على كلّ شيء ، فقد عاش العرب في خراسان منازعات قبلية كما كان أسلافهم في الجاهلية ، نعم كانوا أحياناً يُشغلون بحروب التّرك ، ولكنهم كانوا ما إن يهدَأون وينصرفون عن حرب عدوّهم حتّى يعودوا إلى محاربة بعضهم حرباً لا هوادة فيها .

وقد بدأ أوار هذه العصبيات يشتدّ في الوقت نفسه الّذي بدأ أوارها بالبصرة ، أي بعد وفاة يزيد بن معاوية ، فقد حاولت الأزد وأحلافها أن تستولي على السّلطان هناك ، فتصدّت لهم قيس وتميم بزعامة عبد الله بن خازم السُّلمي القيسي ، الّذي استطاع أن يجمع السّلطان في يده هناك معلناً ولاءه لابن الزّبير ، حتّى إذا غَلب عبد الملك بن مروان على صاحبه أرسل إليه أن يدخل في طاعته على أن يُطعمه خراسان سبع سنين ، وأبى ابن خازم ، غير أنّ نائبه في مرو * ، بكير بن وشاح التّميمي ثار عليه ، ثم قُتل ابن خازم ، وعادت خراسان ثانية إلى طاعة بني أمية ، وولّى عليها عبد الملك بكيراً ، ثم ولّى أمية بن عبد الله بن خالد أسيد الأموي وضمّها إلى الحجّاج بن يوسف ، فوّلى عليها في سنة ثمانية وسبعين المهلّب الأزدي بعد قضائه على الأزارقة ، فقدمها يصحبه شاعره كعب الأشقري الّذي طالما أشاد بانتصاراته على الأزارقة ويلزمه شعراء خراسان يمدحونه ويصفون حروبه مع التّرك من أمثال : المغيرة بن حبناء ، ونهار بن توسعة اليشكري ، وزياد الأعجم مولى عبد القيس [20] .

وعندما تُوفي المهلّب سنة اثنتين وثمانين من الهجرة ولّى الحجّاج عليها ابنه يزيد ، وكان شجاعاً مقداماً ، كما كان بحراً فياضاً ، وقد أشاد الشّعراء هناك بحروبه في فرغانة ، وخوارزم وما وراء النّهر *، إشادة طيّبة ، ويعزله الحجّاج لعصبيته الشّديدة للأزد وأحلافها من اليمن وربيعة ويولّي أخاه المفضّل وسرعان ما رأى الحجّاج أن يتخلّص من المهالبة جميعاً ، فعزل المفضّل وولى قتيبة بن مسلم الباهلي في سنة ست وثمانين فَعَلت كفّة قيس وعظم سلطانها ، وكان قتيبة قائداً محنّكاً وفارساً مغواراً ، فمضى يفتح في

---

* مَرْوُ الشَّاهِجَان : مرو العظمى أشهر مدن خراسان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان 5 / 112 .

20 – يُنظر ، تاريخ الطّبري 6 / 319 ، و د. شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، ص 126 .

* فَرْغَانَة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركمستان . معجم البلدان 4 / 253.

خُوارِزْم : ليس اسماً للمدينة وإنّما ناحيتها . معجم البلدان 2 / 395 .

طخارستان ، وأرض السُّغد ، وخوارزم وسمرقند * ، والشّعراء من حوله يتغنّون بانتصاراته ويشيدون بما حقّق من فتوح جديدة ، ولم يلبث أن سقط وهو في أوج مجده ، وذلك أنّ سليمان بن عبد الملك تولّى الخلافة بعد أخيه الوليد ، وكان حانقاً على الحجّاج وعمّاله ، وخشي قتيبة على مصيره ، فثار عليه ولكن سرعان ما انفضت عنه الأزد وأحلافها ، ثم تبعهم تميم ، لأنّه كان قتل منهم نفراً من آل الأهتم ، وأساء معاملة بطلها وكيع بن أبي سُود الّذي تزعّم حربه ، وانضمت إليه الأزد الّتي كانت حانقة منذ عزل المهالبة ، وانضمّت إليها قبائل ربيعة كما انضّم الموالي بقيادة حيّان النّبطي وحتّى قيس خذلته إلا نفراً من عشيرته باهلة ، فلقي مصيره المحتوم سنة ست وتسعين هـ (21) .

وولّي سليمان مكانه وكيع بن سُود الّذي أخذ النّاس بالعنف ، فعزله وولى يزيد ابن المهلّب جامعاً بين خراسان والعراق ، ولم يتردّد يزيد في اتّباع سياسة قبلية جامحة ، إذ رفع من شأن الأزد وقلّدهم الوظائف ، وجعل لهم القسط الأكبر من الغنائم ، وعندما توفي سليمان خلفه عمر بن عبد العزيز فعزل يزيد وحبسه لتأخّره في أداء الفيء ، وكان قد بالغ لسليمان في بعض كتبه أنّ الفيء في بعض حروبه كان قناطير من الذّهب ، وزعم أنّ خُمسه بعد أن أخذ الجنود حقّهم منه بلغ أربعة آلاف ألف ، وفي رواية ستة آلاف ألف ، وعندما طلب منه عمر بن عبد العزيز ذلك ، لم يستطع أداءه فحبسه حتّى يؤدّي ما عليه للدّولة ولم يكتف عمر بن عبد العزيز بعزله وحده ، بل عزل كلّ ولاته الأزديين وبذلك هوى نجم الأزد ، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولّى على خراسان الجرّاح بن عبد الله الحكمي ، ودخلت خراسان في عصر يزيد بن عبد الملك وتولاها غير قيسي ، ولا يلبث أن يُظلها عهد هشام بن عبد الملك وفيه تصبح تابعة لخالد القسري والي العراق ، وكانت فيه عصبية شديدة لليمن ، فارتفع شأن الأزد ، وكان أن أناب عليها أخاه أسداً سنة خمس ومائة ، وكان يحاكيه في سياسته وعصبيّته اليمنيّة ، فالتهبت العصبيات التهاباً ، واستلت السّيوف الكتلتان الكبيرتان تميم وقيس من جهة الأزد وأحلافها (22) .

---

* طَخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهي من نواحي خراسان . معجم البلدان 4 / 21.

السّغد : (ربّما قيلت بالصاد (الصّغد) مدينة فيها قرى كثيرة بين بُخارى وسمرقند ، لا تتبين القرى من خلال أشجارها ، معجم البلدان 3 / 222.

21 – يُنظر ، تاريخ الطّبري 6 / 334 وما بعدها .

22 – يُنظر ، المصدر السابق 6 / 523 وما بعدها.

من جهة أخرى ووقعت بينها وقعة معروفة باسم البروقان ببلخ * سنة ست ومائة ، ثمّ توالت بينهما الوقائع ، وعُزل أسد سنة تسع ومائة ، وتولاها الحكم بن عوانة الكلبي ، ولم يلبث أن عُزل ووليها أشرس بن عبد الله السّلمي القيسي ، وخلفه عليها الجنيد بن عبد الرّحمن المرّي سنة اثنتي عشرة ومائة ، وعُزل عنها سنة ست عشرة ومائة وخلفه عاصم بن عبد الله الهلالي ، وفي عهده نشبت ثورة الحارث بن سُرَيْج الّتي استفحلت بعد أن انضم إليها نفر غير قليل من تميم والأزد والموالي ، ومازال عاصم يجاهدهم ، حتّى عُزل في سنة سبع عشرة ومائة ، وَولى مكانه أسد القسري للمرّة الثّانية ، فضيّق الخناق على الحارث حتّى فرّ هارباً ، ومات أسد وهوى أخوه خالد في العراق ، إذ صرفه هشام عن ولايتها ، وولى عليها نصر بن سيار ، وفي عهده اشتدت العصبيات اشتداداً مروّعاً ، واشتدّ معها النّزاع والقتال في غير مكان ، وظهر الحارث بن سريح على مسرح الأحداث ثانية وقُتل ، وأخيراً يظهر أبو مسلم الخراساني ، ويحاول عبثاً نصر بن سيار حاثاً جنوده أن يتداركوا الأمر [23] ، وتتوالى الأحداث إلى أن انتهى حكم بني أمية .

واللافت للانتباه أنّ تاريخ الطّبري يفيض بأشعار هذه العصبيات الّتي احتدمت آنذاك في وصف حروب العرب والتّرك ، فقد نشط الشّعر في خراسان نشاطاً ملحوظاً ، إذ كانت الكثرة من العرب هناك مضرية ، وحيث وجدت المضرين وجدت الشّعر ، بخاصّة في خضم أحداث جسام ألهمت غير شاعر بالشّعر الفيّاض ، ومن أهم شعرائهم : زياد الأعجم ، وكعب بن معدان ، ونهار بن توسعة ، وثابت بن قطنة ، والمغيرة بن حَبْناء [24] ، وشاعرنا كعب الفارس المقدام كان من أبرز هؤلاء الشّعراء الفرسان .

الفصل الثّاني

المدح ووصف المعارك

ازدهر فن المديح في عصر بني أمية ، وقوي أكثر ما كان عليه في الجاهلية ، وداخلته مقوّمات ومعانٍ واتّجاهات جديدة .

---

* بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، وهي من أجمل مدنها وأكثرها خيراً . معجم البلدان 4 / 279 .

[23] – يُنظر ، تاريخ الطّبري 7 / 30 وما بعدها ، والدّينوري ، الأخبار الطّوال ، ص 360 ، ود. شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، ص 160 – 164 .

[24] – يُنظر ، د. شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، ص 164 .

وكان لهذا التّطور أسبابه ، حيث الصّراع السّياسي بين الزّعماء السّياسيين وبين خلفاء بني أمية أدّى إلى استخدام الشّعراء وجذبهم من كلّ مكان لمدحهم والدّعوة لسياستهم [25] ، والجدير بالذّكر أنّ شعراء خراسان احتذوا المثال الجاهلي في المديح ، إذ ردّدوا المعاني نفسها الّتي ردّدها الشّعراء الجاهليون على ساداتهم وأشرافهم ، فأشادوا بأصل الممدوح العريق ، وكرمه الأصيل وشجاعته في الحروب وسماحته وحلمه ورجاحة عقله .

وكان من الطّبيعي أن يضيفوا إلى هذه المعاني التّقليدية معانٍ جديدة مستمدّة من الحياة الإسلامية وقيمها ، إذ أضفوا على ممدوحيهم صفات التّقوى والعدل ، والإصلاح والتّفاني في سبيل نشر الدّين ، والفتك بالأعداء المشركين وغيرهم ، وطبيعي أنّ هذه المعاني الجاهلية والإسلامية لا تجمع معاً في كلّ مدحة ، فقد يلج الشّاعر في مدحته على المعاني الجاهلية ، وقد يركّز على المعاني الإسلامية ، وقد يجمع بينهما جميعاً خضوعاً لحالته النّفسية وثقافته الجاهلية وعنصر الثّقافة الإسلامية [26] .

قد لا تهمّنا المعاني التي ركّز عليها شاعرنا بقدر ما يهمّنا الدّور الّذي لتحقيق الهدف الّذي يصبو إليه ، ويسعى للوصول إليه من خلال هذا المدح .

كان هذا الفارس أحد الشّواهد التّاريخية في حقبة من تاريخ الأمّة المجاهدة ، فأدّى من خلال شعره دوراً إعلامياً ، إذ وظفّ شعره لتوثيق المواقف المهمّة والمعاني البطولية .

فلم ينفك يمدح المهالبة ويثني على أفعالهم وحربهم للأزارقة [27] بفارس ، والإشادة بأصولهم العريقة ، والافتخار بأفضالهم على أهل البصرة والكوفة ، لوقايتهم من عبث الأزارقة وخطرهم ، فقد قال عنه المرزباني عنه " أنّه استفرغ شعره في مدح المهالبة " [28].

وذكر هو نفسه في إحدى قصائده أنّه مدح المهلّب خمسين عاماً في قوله :

---

25 – يُنظر ، أحمد أبو حاقة ، فن المديح وتطوّره في الشّعر العربي ، ص 146 .

26 – يُنظر ، د. حسين عطوان ، الشّعر العربي بخراسان ، ص 187 .

27 – الأزارقة : من أشدّ فرق الخوارج تطرّفاً ، لدرجة أنّ البغدادي كفّرهم لما أحدثوه من بدع .
يُنظر البغدادي ، الفَرق بين الفِرق ، ص 63 – 64 ، والشّهرستاني ، الملل والنّحل 1 / 129 – 122 .

28 – معجم الشّعراء ، ص 236

أفنيت خمسين عاماً في مديحكم ثم اغتررت بقول الظالم العادي [29]

ومن معاني المدح عنده : الشّجاعة والبطولة ووصف المعارك :

ووصف في قصيدته الرائية قتال المهلّب وأولاده للأزارقة بكرمان والأهواز *، وإشادته بقومه الأزد وكأنّ الشّاعر يمزج بين الفخر والثّناء في فلسفة إعلامية ينشد من خلالها حقّاً وهدفاً ، وقد خصّ القرشيين وطاولهم واستعلى عليهم لحاجة في نفسه ، يقول [30] :

سلوا أهل الأباطح من قريش عن العزّ المؤبّد أين صارا

ومن يحمي الثّغور إذا استعرّت حروبٌ لا ينون لها غِرارا

لقومي الأزد بالغمزات أمضي وأوفي ذمَّةً وأعزُّ جارا

همُ قادوا الجياد على وجاها من الأمصار يقذِفن المهارا

بكلّ مفازة وبكلّ سهبٍ بسابس لا يروْن لها مَنارا

وذكر سيرهم إلى كرمان ، وزحفهم إلى الأهواز ، وهم يحملون السّيوف ، والرّماح المعتدلة الطّويلة المسنونة الّتي ارتوت من دماء الأعداء ، وقد كانوا يلبسون الدّروع التّامة الطّويلة ، وفي ذلك ثناء على شجاعتهم وبطولتهم وحمايتهم الحقائق :

إلى كِرمان يحملنَ المنايا بكلّ ثنيَّة يوقدن نارا

شوازب لم يصبن الثّأر حتّى رددناها مكلّمة مِرارا

ويَشْجُرْنَ العوالي السُّمر حتّى تَرَى فيها من الأسلِ ازْوِرارا

---

[29] – الأصفهاني ، الأغاني 14 / 275 .

* كَرْمَان : ولاية مشهورة ذات بلاد واسعة بين فارس ومكران وسجتان وخراسان . 4 / 454.

الأهواز : كورة بين البصرة وفارس . معجم البلدان 1 / 258 .

[30] – الأصفهاني ، الأغاني 14 / 278 – 280 .

غداةَ تركنَ مصرعَ عبدِ رَبٍّ يُثِرْنَ عليه من رَهجٍ عِصارا

ويومَ الزّحْفِ بالأهوازِ ظِلْنا نُرَوّي منهم الأسلَ الحِرارا

فَقَرَّتْ أعينٌ كانت حديثاً ولم يكُ نومها إلا غِرارا

صنائِعُنا السّوابغُ والمذاكى ومن بالمِصْرِ يحتلب العِشار

فهنَّ يُبِحْنَ كلّ حِمىً عزيزٍ ويَحْمِين الحَقائق والذّمارا

طُوالاتُ المتونِ يُصَنّ إلا إذا سارَ المهلّبُ حيث سَارا

فهو يحاول استثمار انتمائه القبلي ليقدّم صورة مثاليّة للبطل من خلال إضفاء مجموعة من المعاني والصّفات عليه ، فقد وجد الشّاعر في ذلك طريقة صالحة للتّعبير عن انتمائه الذّاتي لقبيلته الّتي حفل سجلّها بمآثر البطولة ، مما يعني أنّ الانتماء القبلي كان رافداً من روافد البطولة [31] .

وتتجلّى معاني الشّجاعة والبطولة عندما يصوّر فرار الأعداء :

فلولا الشّيخُ بالمصرينِ يَنفي عَدُوّهم لقد تركوا الدّيارا

ولكن قارعَ الأبطالَ حتّى أصابوا الأمنَ واجْتَنَبُوا الفِرارا

إذا وَهَنُوا وحلَّ بهمْ عظيمٌ يَدُقُّ العظمَ كان لهم جُبارا

ومُبْهَمَةٍ يَحِيدُ النّاسُ عنها تَشُبُّ الموتَ شدّ لها الإزارا

وفي الثّناء على شجاعة المهلّب وأبنائه وصبرهم عند النّزال من أجل أهداف سامية تتمثّل في طلب العُلا والوصول إلى أعلى درجات المجد :

شهابٌ تَنْجَلي الظّلماءُ عنهُ يَرَى في كلِّ مبهمةٍ مَنارا

بل الرّحمنُ جارك إذ وَهَنّا بِدَفْعِكَ عن مَحَارِمنا اختيارا

[31] – يُنظر ، خليل عبد الوهاب ، معاني البطولة في شعر كعب بن معدان الأشقري ، ص 427 .

بَراكَ الله حين براكَ بَحراً وفجّرَ منكَ أنهاراً غِزَارا

بنوكَ السّابقون إلى المعالي إذا ما أعْظَمَ النّاسُ الخِطارا

هذه الأبيات توضّح ما كان يدور في خلد الشّاعر ، وما يعتلج بنفسه بل بنفوس الأزد – وهو النّاطق الإعلامي باسمهم – من سخط وخوف على مصيرهم بعد الإسلام ، وكيف أنّهم حُرِموا حقّهم في الرّئاسة [32] ، وهي تفصح عن آمالهم في الوصول إلى سدّة الحكم وهذا حقّ طبيعي كما يراه ، فهو معتدّ بقومه الأزد أقصى الاعتداد شامخ بالمهالبة منهم أعلى الشّموخ ، وقد استند في ذلك الاعتداد والشّموخ إلى أمرين أساسيين :

الأوّل : عزهم الجاهلي التّليد ، **والآخر** : مجدهم الإسلامي الأصيل النّامي على مرّ السّنين ، المتمثّل في إسهاماتهم القوية في القضاء على الثّورات العنيفة ضد بني أمية في ظل صراع سياسي عنيف على السّلطة ، وهو يريد من خلفاء بني أمية أن يعترفوا بمكانة الأزد وعظمتهم ، ويريدهم أن يردّوا إليهم نصيبهم في الحكم ، واللافت أنّه لا يكاثر القبائل الّتي ليس لها حظ في الملك ، وإنّما يختار القرشيين على وجه التّخصيص ، ويطاولهم ، ويستعلي عليهم ، فهم الّذين يستأثر الأمويون منهم بالخلافة ، وهم الّذين كان للأزد وأهل اليمن دور مهم في تأييدهم ومد يد العون لهم في أوّل عهد الإسلام ، وهم الّذين تنكروا لمن ساعدوهم وجحدوا حقّهم ، وهم الآن قد يكونون عاجزين عن حماية أنفسهم من الخارجين عليهم ، ومقصرين عن توفير الأمن والاستقرار في الأمصار الّتي تغلي بالثّورة عليهم ، وبخاصّة الخوارج وعلى رأسهم الأزارقة ، فعادوا إلى التماس العون من الأزد ، فلبّوا النّداء ، وسارعوا إلى دعمهم وتثبيت سلطانهم [33] .

هنا يبرز الدّور الإعلامي للشّاعر، فهو يطالب خلفاء بني أمية حفظ حقّ قبيلته والاعتراف بمكانتها وعظمتها ودورها في مساندة بني أمية ، فهو يريد أن يُذّكر بني أمية بأنّهم تنكّروا لقومه الأزد الّذين ساعدوهم ، وجحدوا حقّهم ، ويطالبهم بحفظ هذا الحقّ ، والاعتراف بمكانتهم ودورهم الرّيادي في إخماد الثّورات المناوئة لهم ، فهو لا يقبل أن تتكرّر المأساة من جديد ، ولا أن يضيع حقّ الأزد في المشاركة الفعلية في الزّعامة والقيادة السّياسية .

---

[32] – يُنظر ، د. طه حسين ، حديث الأربعاء 1 / 261 .

[33] – يُنظر ، د. حسين عطوان ، الشّعر العربي بخراسان ، ص 266 .

أنّه يدافع عن هذا الحقّ بدافع العصبية ، بيد أنّه يسوق الأدلة والبراهين ليؤكّد ما ذهب إليه ، لذا لم يفته أن يعلن عن انتمائه الذّاتي (الفردي) إلى تلك القبيلة ملمحاً للتّعبير عن أصالة الحالة ، وصدق التّعبير المبني على الواقع المحسوس ، فقال [34] :

إني من السّلفِ المقصّرِ دونه شرف الأنام وبذخ كلّ منافرِ

القاهرين لمن أرادوا قهرَه في السّالفات وفي الزّمان الغابرِ

والمانعين من العدو حريمَهم والقابضين يد الحمام الجائر

حبر الكسير إذا يَحِنّ إليهم وغنى العديم وأمن كلّ محاذرِ

إنّي من القومِ الّذين قرومهم شهدوا جنوب ويوم صدمة عامرِ

قرم أغر كالهجان إذا بدا لقراعِ زحفٍ كالعقاب الكاسرِ

فأصابَ جمعَ بني محارب كلّهم وانصاعَ كالقمرِ المنيرِ الباهرِ

ضرب السّرادق حين ليس سرادق والنّاس أهل قنابل وعساكرِ

وقد خصّ المهلّب بقصيدة أثنى فيها على شجاعته ، وحسن خُلقه في مثل قوله : [35]

رُمْتُكَ فيلٌ* بما فيها وما ظَلَمَتْ رامَها قبلك الفَجْفَاجةُ الصَّلِفُ

لا يُجْزِئُ الثَّغْرَ خَوَّارُ القَنَاة وَلا هَشُّ المكاسِر والقَلبُ الّذي يَجِفُ

هل تَذْكُرونَ ليالي التُّرك تَقتُلُهُمْ ما دون كازَةَ* والفَجْفَاجُ مَلتَحِف

لم يَرْكَبُوا الخيلَ إلا بعد ما كبروا فَهمْ ثِقَال على أكتافِها عُنُفُ

---

[34] – د. نوري القيسي ، شعراء أمويون 2 / 208 – 209 .

[35] – المصدر السابق 2 / 413 – 414 .

* فِيل : مدينة ولاية خوارزم . معجم البلدان 4 // 286 .

* كازة : من قرى مرو الشّاهجان . معجم البلدان 4 // 430 .

أنتم شباس و مرداذان محتقرٌ وبسْخرَاء قُبورٌ حشْوُهَا القُلَف

إنّي رأيتُ أبا حفص تُفَضِّلُهُ أيامُهُ ومَسَاعِي الناسِ تَخْتَلِفُ

لو كنتَ طاوَعت أهلَ العجز ما اقتَسَمُوا

سبعِين ألفاً وعِوء السّغْدِ مزُّتَنِف

وفي سمرقندَ * أُخرى أَنت قاسِمُهَا لئن تأخَّر عن حوبائك التَّلَفُ

ما قَدَّمَ الناسُ من خيرٍ سبقتَ به ولا يَفوتُك مما خلَّفُوا شَرَفُ

هذا القائد بطل شجاع صاحب قلب جرئ ، لا يعرف الخوف والوجل ، يستمدّ قوته وشجاعته من آبائه ، وأفعاله وسمعته العطرة ونسبه الصّريح ، كلّ ذلك جعله مرتبة متقدّمة من البطولة والشّجاعة ، وفي ذلك إشارة من طرف خفي أنّ قومه الأزد لهم الحقّ في السّيادة والرّيادة .

ذكر الطّبري أنّ قطرياً خرج بأتباعه نحو طبرستان * سنة 77هـ سبع وسبعين ، فنهض إليهم المهلّب ، فقاتلوه قتالاً شديداً ولكنّه فتك بهم فتكاً ذريعاً ، ولم ينَجُ منهم إلا قليل ، وأخذ عسكرهم وما فيه وسُبُوا ، لأنّهم كانوا يسبون المسلمين [36] ، وفي ذلك مادة إعلامية خصبة استغلها كعب .

ذكر صاحب الأغاني أنّ المهلّب بن أبي صفرة أوفد كعباً الأشقري ومعه مرّة بن التّليد الأزدي إلى الحجّاج بن يوسف ليُقدم إليه تقريراً مفصّلاً عن سير العمليات [37] ، فأنشد كعب بين يديه قصيدة مطوّلة

* سَمَرْقَند : بلد معروف مشهور ، قيل : إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر . معجم البلدان 3 / 246.

* طَبَرستان: إقليم يقع في بلاد فارس ، يمتد في معظمه عبر سلسلة جبال ضخمة . معجم البلدان 4 / 13 . وما بعدها .

36 - يُنظر ، تاريخ الطّبري 6 / 304 .

37 - يُنظر ، الأغاني 14 / 266 .

بلغت ثلاثة وثمانيين بيتاً [38] ، تكاد تكون ملحمة قصيرة لسرده فيها سرداً حماسياً وقائع المهلّب مع الأزارقة [39] ، وقد استهلها بمقدّمة غزلية ، ثم مدح الحجّاج بن يوسف ، حيث قال :

لما نَبَتْ بي بِلادِي سِرْتُ مُنتجِعاً وطَالِبُ الخير مُرْتادٌ ومُنتَظرُ

أَبا سعيد فإنّي جئت مُنتجِعاً أرجُو نَوالَكَ لما مَسَّنِي الضَّرَرُ

لولا المهلّبُ ما زُرْنا بلادَهُمُ مادامت الأرض فيها الماءُ والشّجرُ

فما من النّاس من حيٍّ عَلِمتُهُمُ إلا يُرَى فيهم من سَيْبِكم أثرُ

أحيَيْتَهُم بِسجَال مِن نَدَاكَ كما تحيَا البلادُ إذا ما مَّسها المطرُ

إنّي لأرجو إذا ما فاقَةٌ نَزَلتْ فضلاً من الله في كفَّيك يَبْتَدِرُ

فاجبرْ أخاً لك أوهَى الفقرُ قوَّته لعلَّه بعدَ وهْي العظْمِ ينجبرُ

جَفَا ذَوُو نَسَبي عنِّي واخلفَني ظني فللهِ دَرّي كيف آتمِرُ

يا وَاهِبَ القَينةِ الحَسناءِ سُنَّتُها كالشّمس هِرْكَولةٌ في طَرْفِها فَترُ

وما تزال بُدُورٌ منك رائحة وآخرون لهم من سَيْبك الغُرَر

نماك للمجد أملاكٌ وَرِثْتَهُمُ شُمُّ العَرَانينِ في أخلاقهم يَسَرُ

ثارُوا بقَتْلَى وأوتارٍ تُعدّدُها في حِينِ لا حَدَثٌ في الحرب يَتَّئرُ

اللافت للانتباه أنّه يمدح المهلّب من خلال مدحه للحجّاج ، ويزداد الأمر تعقيداً لأنّ هذا الفارس المتعصّب يطلب النّوال بهذه الطّريقة المهينة الّتي لا تليق بمثل هذا الشّاعر بخاصّة أنّه يرصد أحداثاً جساماً يثني فيها على المهلّب ، وهو النّاطق الإعلامي العسكري – إن صحّ التّعبير – ، فهل استغل كعب زفّة

[38] – تاريخ الطّبري 6 / 304 – 308 ، ومقتطفات في الأغاني 14/ 267 – 268 .

[39] – يُنظر ، د. حسين عطوان ، الشعر العربي بخراسان ، ص 267 .

بشرى الانتصارات ليحقّق هذا الغرض ؟ لا يستطيع المرء أن ينكر ذلك ، لذا يجب علينا أن نُعدّ ذلك هدفاً من الأهداف الّتي أرادها الشّاعر من خلال دوره الإعلامي ، يضاف إلى الهدف الأسمى المتمثّل في دفاعه عن قومه الأزد ، والمطالبة بحقوقهم .

وقد أجاد عندما وصف حال النّاس بالبصرة واستخفافهم بأمر الأزارقة ، حتّى تكاثفوا وتعاظم خطرهم ، فاختبأ الرّجال في منازلهم ، وأحجموا عن قتالهم وأصبحوا كالنّساء يرتجفون رعباً وهلعاً ، حتّى إذا هبّ المهلّب لجلاهم ، لبّت قبيلته نداءه ، وخرجت في كتائب جرارة لمنازلتهم ، وفي ذلك إبراز لدور المهلّب البطولي ، وإظهار لقوّته وشجاعته ، وشجاعة قومه الّذين أبلوا بلاءً حسناً في هذه المعارك الضّروس ، يقول :

واستسلم الناسُ إذا حلَّ العدوُّ بهم فما لأَمرِهُم وردٌ ولا صَدَرُ

وما تجاوَزَ بابَ الجسر من أَحدٍ وعَضّتِ الحربُ أهلَ المصرِ فابجحَروا

وأُدخل الخوفُ أجوافَ البيوت على مِثلِ النّساءِ رِجال ما بهم غِيَرُ

واشتدَّتِ الحربُ والبَلوَى وحلَّ بنا أمرٌ تُشَمَّرُ في أمثالِهِ الأُزُر

نظلّ من دون خفض مُعصمِين بهم فَشمَّر الشيخُ لما أعظمَ الخَطَر

كنّا نَهَوِّنُ قَبلَ اليومِ شأْنَهُمُ حتّى تفَاقَمَ أمرٌ كان يُحتَقرُ

نادَى امرؤ لا خلاف في عَشِيرَتِه عَنه وليس به في مِثلهِ قِصَر

تلبَّسُوا لقراعِ الحربِ بَزَّتَها فأَصبَحُوا من وراء الجسر قد عَبرُوا

ساروا بألويَة للمجدِ قد رُفِعْت وتحتَهُنَّ لُيُوثٌ في الوَغى وُقرُ

وأخذ يفصّل في منازلة المهلّب لهؤلاء الأزارقة في رامَهُرْمُز ، وسابور ، وكازرون * ، وجبيرين ، وكرمان ، وما تكبّده الفريقان من ضحايا ، وكيف حقّق المهلّب النّصر المبين على الأزارقة ، وكيف دحرهم عن كلّ تلك الأماكن وقصم ظهرهم قسماً ، ولطول الأبيات نقتصر على بعض منها ، يقول :

حتّى إذا خَلَّفُوا الأهوازَ و اجتمعوا برَامَهُرْمُزَ وافَاهُمْ بها الخبرُ

نعيُّ بِشرٍ فجال القومُ و انصدعوا إلا بَقايا إذا ما ذُكِّرُوا ذَكَرُوا

ثمْ استمرَّ بنا راضٍ ببيعتِه يَنوِي الوفاءَ ولم نغْدِرْ كما غَدَرُوا

حتّى اجتمعنا بسَابورِ الجنود وقد شُبَّتْ لنا ولهم نارٌ لها شَرَرُ

نَلقَى مساعِيرَ أبطالاً كأَنّهُمُ جِنٌّ نقارعُهُمْ ما مثلُهم بَشَرُ

نُسْقَي و نَسْقِيهمُ سَمّاً عَلَى حنَقٍ مُستأْنِفي الليْلِ حتّى أسْفَرَ السَّحَرُ

قَتْلَى هنالك لا عقلٌ و لا قَوَدٌ مِنَّا ومنهم دِماءٌ سَفكهَا هدَرُ

حتّى تَنَحَّوا لنا عنها تسُوقهُمُ منَّا ليوث إذا ما أقدَموا جَسروا

لم يُغنِ عنهم غدَاةَ التّلِّ كيدُهُمُ عند الطِّعان ولا المكرُ الّذي مَكَرُوا

باتَتْ كتائبُنا تَرْدِى مَسَوَّمَةً حولَ المهلّب حتّى نَوّرَ القمرُ

هناك ولَّوْا حِزَاناً بعدما فَرِحوا وحالَ دونهُم الأنهارُ والجدُرُ

عبَّوا جنودَهمُ بالسَّفح إذ نَزلوا بكازَرُون فما عزُّوا و لا ظفروا

و قد لقوا مَصْدَقاً منا بمنزلةٍ ظنُّوا بأن يُنصَرُوا فيها فما نَصِرُوا

* رَامَهُرْمُز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . معجم البلدان 3 / 17 .

سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .معجم البلدان 3 / 167 .

كازَرُون : مدينة كبيرة بسابور بفارس . معجم البلدان 4 / 429 .

وهو بذلك يسير على نهج شعراء الجاهلية الفرسان ، الّذين شهدوا للخصم بالشّجاعة ، وذلك مظهر من مظاهرها ، ومن هؤلاء عنترة بن شداد البطل الكمي ، الّذي شهد لخصمه بأنّه مدجّج ، يكره الأبطال منازلته ، لا يهرب من الميدان ولا يستسلم بسهولة ، لكن هذا الكريم ليس بمحرّمٍ على قناة عنترة [40].

وهنا لفتة إعلامية بديعة من شاعرنا ، الّذي كان موضوعياً في بيانه الإعلامي ، إذ شهد للخصم بالقوّة والشّجاعة ، كيف لا ، والأزارقة بل الخوارج كلّهم رهبان في اللّيل ، فرسان في النّهار ، وهم على درجة عالية من الشّجاعة والبأس الشّديد ، والاستعداد العسكري ، الموت عندهم في المعركة أشهى إلى قلوبهم من العسل ، لأنّه سبيل إلى جنات ونهر كما كانوا يعتقدون .

وقد عبّر بكلّ صدق وموضوعية عن الانتصار التّاريخي للمهلّب على هؤلاء الأقوياء ، وفي ذلك تأكيد على براعته في دوره الإعلامي الأمين ، الّذي يرصد ويسجّل ويعلن بعيداً عن النّفاق والمبالغة .

يؤكّد على ذلك في نهاية حديثه عن سير العمليات العسكرية ويثني على قومه الأزد الّذين صالوا وجالوا وحقّقوا ما صبوا إليه .

وشيخنا حوله منَّا مُلمْلَمةٌ حيٌّ من الأَزْد فما نابَهُمْ صبُرُ

في موطنٍ يقطعُ الأبطال مَنظُرهُ تُشاطُ فيه نُفوسٌ حين تَبتكر

مازال منَّا رجالٌ ثَمَّ نَضْرِبَهُمْ بالمشرفيّ و نارُ الحرب تَسْتَعِرُ

وباد كلُّ سلاحٍ يُستعان به في حَومة الموت إلا الصّارم الذَّكَرُ

ندُوسُهُمْ بعَناجِيجٍ مُجَفَّفَةٍ وبيننا ثَمَّ من صُمِّ القَنا كِسَرُ

يغشَيْنَ قتلي وعَقرَي ما بهارَمَقٌ كأَنّما فوقها الجاديُّ يُعتَصرُ

قتلي بقتلي قِصاصٌ يُستقَادُ بها تَشفِي صُدُورَ رجال طالما وُتِرُوا

[40] – يُنظر ، الزّوزني ، المعلّقات السّبع ، ص 89

مُجَاورينَ بها خَيلا مُعَقَّرَةً للطيرِ فيها وفي أجسادهم جَزَرُ

في معَرِكٍ تَحْسَبُ القتلي بساحَتهِ أعجازَ نخلٍ زَفَتْهُ الرّيحُ يَنعقِرُ

وفي مواطِنَ قبلَ اليومِ قد سَلَفتْ قد كان للأزد فيها الحمدُ والظَّفَر

في كلِّ يومٍ تُلاقِي الأزدُ مُفظِعَةً يَشيبُ في ساعةٍ من هولها الشَّعرُ

وأخيراً تدفعه عقدة العزّ اليمني الجاهلي التّالد والمجد الأزدي الإسلامي الصّاعد إلى اختتام تقريره عن سير العمليات ونتائجها الإيجابية إلى الزّهو بالأزد وأحسابهم وأفعالهم الكريمة ، وجانبهم المنيع ، وسعيهم الحثيث إلى المجد والعُلا والسّيادة والرّيادة .

والأزدُ قومي خيارُ القوم قد علموا إذا قُرومُهم يومَ الوغى خطروا

فيهم مَعاقِلُ من عِزٍّ يلاذُ بها يوماً إذا شَمَّرَتْ حربٌ لها دِرَرٌ

حيٌّ بأسيافِهمْ يَبغونَ مَجدَهُمُ إنّ المكارمَ في المكروهِ تُبْتَدَرُ

لولا المهلّب للجيش الّذي وردُوا أنهارَ كَرْمَانَ بعد الله ما صدرُوا

إنّا اعتَصَمْنَا بحبل اللهِ إذ جحَدوا بالمحْكَمَاتِ ولم نكْفُرْ كما كَفَرُوا

جاروا عن القصد والإسلام واتّبعوا دِيناً يُخالفُ ما جاءَت به النُّذرُ

وهو بذلك قد يؤدّي دوراً إعلامياً مهمّاً ، فهو ينفّس عما " يتعمّقه من الشّعور بحقّهم الزّائد في تزعم العرب ، مع ما يبذلونه من التّضحيات ، وما يسجلونه من الانتصارات ، الّتي تحفظ للأمويين عروشهم في النّائبات ، وهي لذلك لا تكتفي بالتّغني بهموم قومه السّياسية ، بل يفاخر بالأزد كافة القبائل ، ويطاولها ويصدر في النّهاية حكمه بتفضيلهم عليها ، جاعلاً المهلّب عنواناً لعزّهم الحديث المؤكّد ، ورمزاً لمجدهم الخالد المتجدّد " [41] .

[41] – د. حسين عطوان ، الشّعر العربي بخراسان ، ص 269 .

لقد ساق الأدلة والبراهين ليؤكّد بما يصبو إليه ويدافع عنه قومه على حقّ وقد اعتصموا بحبل الله وهم أتباع الحزب الحاكم حزب بني أمية ، وقد حقّقوا انتصارات ساحقة على فئة باغية كافرة ليؤكّد ما يأتي.

1. الدّفاع عن حقوق قبيلته وأحقيتهم في السّيادة .
2. الدّفاع عن حقّ بني أمية في الخلافة ، فهم على حقّ ، فهم خلفاء الله في الأرض ، وأحقّ بالخلافة من الأحزاب الأخرى الضّالة – حسب زعمهم – بل أحياناً الكافرة .
3. التّشهير بالأزارقة ، الّذين حادوا عن الإسلام ، وكفّروا أيّ مسلم غير خارجي ، حتّى أنّهم كفّروا الأطفال ، وأباحوا دماء المسلمين .

والشّاعر بذلك – إن صحّ التّعبير – يجمع بين الإعلام العسكري حيث سير العمليات العسكرية في صراع دموي من أجل استئصال شأفة المعارضين لبني أمية ، وبين الإعلام السّياسي في ظل صراع سياسي مقيت على السّلطة ، كلّ يدافع عن حقّه في الخلافة ، وكلّ بما لديهم فرحون .

بعد أن استمع الحجّاج إلى هذه القصيدة ضحك وقال : " إنّك لمنصف يا كعب ، ثم قال الحجّاج : أخطيب أنت أم شاعر ؟ فقال :شاعر وخطيب ، فقال له : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كنّا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم ، فعفوهم تأنيس منهم ، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم ، قال : فكيف كان بنو المهلّب ؟ قال : حماة للحريم نهاراً ، وفرسانٌ بالليّل أيقاظاً ، قال : فأين السّماع من العيان ؟ قال : السّماع دون العيان ، قال : صفّهم رجلاً رجلاً ، قال : المغيرة فارسهم وسيّدهم ، نار ذاكية ، وصعدة عالية ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، ليث غاب ، وبحر جم العباب ، وجوادهم قبيصة ، ليث المغار ، وحامي الذّمار ، ولا يستحي الشّجاع أن يفرّ من مدرك ، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ، وعبد الملك سمٌّ ناقع ، وسيف قاطع ، وحبيب الموت الذّعاف ، إنّما هو طود شامخ ، وفخر باذخ ، وأبو عيينة البطل الهمام ، والسّيف الحسام ، وكفاك بالمفضل نجدة ، ليث هدار ، وبحر موار ، ومحمّد ليث غاب ، وحسام ضراب ، قال : فأيهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرّغة لا يعرف طرفاها ، قال : فكيف جماعة النّاس ؟ قال : على أحسن حال ، أدركوا ما رجوا ، وأمنوا مما خافوا ، وأرضاهم العدل ، وأغناهم النّفل ، قال : فكيف رضاهم عن المهلّب ؟ قال : أحسن رضا ، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد ، ولا يعدم منهم بر الولد ؟ قال : فكيف فاتكم قطري ؟ قال : كدناه فتحوّل عن منزله

وظن أنّه قد كادنا ، قال : فهلا تبعتموه ! قال : حال اللّيل بيننا وبينه ، فكان التّحرّز – إلى أن يقع العيان ، ويعلم امرؤٌ ما يصنع – أحزم ، وكان الحد عندنا آثر من الفَلّ ، فقال له المهلّب : كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى [42] .

ومدح كعب يزيد بن المهلّب في مقطوعة أظهر فيها بسالته ، وقد لقيه التّرك في خمسمائة فارس ، وقطعوا عليه الطّريق وهو يسير في ستين فارساً من كس بما وراء النهر ، الّتي كان أبوه يقيم بها سنة إحدى وثمانين ، واثنتين وثمانين إلى مرو الشّاهجان ، حيث مات أخوه المغيرة ، خليفة أبيه ، والقائم بأعماله فجالدهم أشدّ جلاد دون أن يتغلّب عليهم أو أن يتغلّبوا عليه ، ولم يزل كلّ فريق منهم يهاجم الآخر ويكرّ عليه حتّى أسدل الظّلام ستاره فتفرّق التّرك عنه وواصل سيره وهو هنا لا يثني على يزيد فحسب ، وإنّما على بطولة فرسانه ، فهو يكبر فيه صلابته ، ويكبر في فرسانه عزيمتهم ، وكيف أنّهم لم ينكصوا عن مقاتلة التّرك مع كثرة عددهم ، فقد صمدوا لهم ، وصدقوا في منازلتهم ، معرّضين أنفسهم للخطر ، ورامين أفراسهم على الهلاك يقول : [43]

والتُّرك تعلمُ إذ لاقى جُموعَهُمُ أنْ قد لقوهُ شِهاباً يَفرِجِ الظُّلَمَا

بِفِتيَةٍ كأسودِ الغابِ لم يَجِدوا غيرَ التأسِّي وغيرَ الصّبرِ مُعتَصَمَا

نرى شَرائجَ تَغشى القومَ من علقٍ وما أرى نبوةً منهمْ ولا كَزَما

وتَحتَهُمْ قرَّحٌ يَرْكَبْنَ ما ركِبوا من الكريهة حتّى ينتعلن دَمَا

في حازَّةِ الموتِ حتّى جَنَّ لَيلُهُمُ كِلا الفريقين ما وَلّى ولا انهزما

وكعب بذلك رسم صورة للأبطال الّذين صبروا في الميدان على المكاره فالصّبر ضرب من الشّجاعة ، ومظهر من مظاهر البطولة ، وحسن الاستعداد والمواجهة .

---

42 – الأصفهاني ، الأغاني 14 / 268 – 269 .

43 – تاريخ الطّبري 6 / 332 ، د. نوري القيسي ، شعراء أمويون 2 / 417 .

وعندما عزل الحجّاج يزيد ، كتب إلى المفضّل بن المهلّب بولايته على خراسان سنة خمس وثمانين ، فوليها تسعة أشهر ، فغزا باذغيس * مرّة ثانية ففتحها وأصاب مغنماً بين الناس ، ثم غزا أَخْرون وشومان * ، فظفر وغنم وقسّم ما أصاب بين النّاس ، فنظم كعب مقطوعة أثنى فيها على شجاعة المفضل ، إذ قال (44) :

لعَمْري لقد صال المفضّل صَوْلَةً أباحَتْ بشُومانَ المناهل والكلا

و يوم ابن عبَّاس تناولتَ مثلها فكانت لنا بين الفريقين فَيْصَلا

يُلاحظ أنّه عمد إلى المقطوعات في مدحه لابني المهلّب ، المقطوعة الأولى في مدح يزيد أربعة أبيات ، والأخرى في مدح المفضّل ثمانية أبيات ، وهذا الكم لا يرقى إلى أفعالهم وبطولاتهم والأحداث التّاريخية الّتي عاصروها ، ولا يتناسب وحسبهم ونسبهم العريق ، ورجاحة عقولهم ، وسعة صدورهم ، وحسن أخلاقهم .

هل جارى في ذلك معظم شعراء العرب بخراسان ، الّذين لم ينظموا قصائدهم في الأجواء الهادئة الّتي تتيح لهم مدّ قصائدهم وتطويلها وتنقيحها وتهذيبها ، وإنّما نظموا في مقطوعات جديدة ، نابعة من طبيعة حياتهم السّياسية والعسكرية ، داخل خراسان وطبيعي أن الشّاعر المرتبط بقبيلته العاني في كيانها النّاطق الرّسمي بلسانها ، لا يستطيع أن يتريّث طويلاً في الأحداث الكبيرة السّريعة لكي يصدر بياناً عن موقف قبيلته ، ويتوافر على صياغته ومراجعته وتدقيقه حتّى يخرج عملاً فنياً كاملاً مفصّلاً ، لأنّه إن فعل ذلك فإنّ الأحداث تكون قد سبقته ، وحينئذ لا يكون لبيانه أهمية ولا قيمة لقبيلته فيها ، وإنما يتعجّل القول لينشر بلاغه العسكري في الظّرف الملائم ، ربما يكون ذلك فالظّروف العسكرية أملت عليه ذلك ، وربما أحبّ أن يجاري شعراء عصره آنذاك ليكون لقبيلته حظاً في التّغني بالبطولات والانتشاء بالانتصارات ، ولكنّه في الوقت نفسه نظم قصائد طويلة قد تُعدّ إحداها ملحمة قصيرة ، وكأنّه يؤدي دوراً إعلامياً محلياً ليظهر مكانة قومه ، ودوراً إعلامياً للتّاريخ ، الّذي رصد له ما سجله من قصائد طويلة.

* – باذغِيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ ، وهي ذات خير . معجم البلدان 1 / 318.

شُومَان : بلد بالصفاينان من وراء نهر جيجون ، أو هي مدينة من طخارستان . معجم البلدان 3 / 373 .

44 – تاريخ الطّبري 6 / 398 .

من ناحية أخرى يُلاحظ أنّه في مدح كعب ليزيد أثنى على بطولة فرسانه ، ولو بقدر بسيط ، وتجاهل ذلك في مدحه للمفضّل ، فهو يركّز على شخصية ابني المهلّب ، إذ أثنى على سياستهما ومقدرتهما العسكرية الفائقة ، وتجاهل أو تغافل عن الجيش الّذي احتمل أعباء الزّحف إلى باذغيس وشومان ومشقة السّفر ، وبذل التّضحيات الجسام حتّى دخل المدن ، وتناسى القادة الّذين قادوا الحملات الناجحة معه ، وهو بذلك يبرز دور المهالبة ، ويهمل أدوار غيرهم من القادة ، ولعل " تحزبه للأزد كان له التّأثير الأكبر في لجاجته في إظهار دور المهالبة وتكبيره له ، وفي تنويه لوالدهم واعتزازه به ، وإعلائه إياه فوق كلّ العاملين لمساعيه الجليلة ، ومحامده الأصيلة ، بل لأمجاده العظيمة " (45) ، ولا ننسى أنّ المرزباني قال : " أنّه استفرغ شعره في مدح المهلّب وولده " (46) .

وهو بذلك يركّز في دوره الإعلامي على دورهم القيادي والبطولي في سير العمليات العسكرية ، وأغلب الظّن أنّه يفعل ذلك عن عمد ووعي ، فقد اقتصر على مدحهم لتضخيم شخصياتهم وتغليبها على شخصية أي مسؤول في الدّولة ، بدليل أنّه لم يذكر خلفاء بني أمية في المدح ، واكتفى بمدح عاملهم الحجّاج بن يوسف الثّقفي ، وأشار على استحياء على أحقيتهم بالخلافة في خضم الصّراع السّياسي على السّلطة آنذاك ، كما أنّه ابتعد عن التّنويه بأعمال القيسين بخراسان ، ماعدا مدحه لقتيبة بن مسلم (47) ، وفي ذلك تأكيد إلى ما ذهبنا إليه آنفاً بمطالبته في هذا الدّور الإعلامي بحق قومه الأزد ، الّذين يستحقون — كما يرى — الرّيادة والسّيادة ، لدورهم في تحقيق الانتصارات ولإعجابه ببطولاتهم وقدراتهم العسكرية ، ولعلّ ذلك ما دفعه إلى مدح قتيبة بن مسلم ، إذ أُعجب بشجاعته ، وحسن قيادته ، وذكائه في إدارة العمليات العسكرية ، وانتصاراته في أغلب المعارك الّتي خاضها في طخارستان ، وخوارزم ، وبخارى * ، وسمرقند وفرغانة ، كلّ ذلك بعد أن نزل الحجّاج بن يوسف المهالبة عن إدارة خراسان ، وأسند حكمها لقتيبة ،

45 – د. حسين عطوان ، الشّعر العربي بخراسان ، ص 158 – 159 .

46 – معجم الشّعراء ، ص 236 .

47 – يُنظر ، د. حسين عطوان ، الشّعر العربي بخراسان ، ص 270 – 271 .

* – بُخَارى : من أعظم مدن ما وراء النّهر وأجلّها . معجم البلدان 1 / 353.

ولعل أحداً من ولاة خراسان لم يَغزُ ، ولم يفتح مثلما غزا هذا القائد وفتح ، فقد كان في كلّ عام من أعوام ولايته العشر يتأهّب للإغارة على بلاد ما وراء النهر [48] .

والّذي يهمّنا أن كعباً قصد قتيبة وحارب معه التّرك ، وكأنّه وجد في عهده الحافل بالمعارك ما يُرضي نزعة الحرب والفروسية في نفسه فخاض معه أكثر الوقائع الّتي نازل فيها التّرك ، وفي سنة ثلاث وتسعين استعان خُوارزم شاة بقتيبة ليؤازره في تثبيت عرشه ، ويبطش بأخيه حرزام الّذي ثار عليه ، ويقمع ملك خام جرد ، الّذي ناصبه العداء ، فسار قتيبة إلى خوارزم ، فقتل أخوه عبد الرّحمن ملك خام جرد ، واستباح بلاده ، وقبض هو على حرزاذ ، ودفعه إلى الشاة ، ودخل مدينة فيل عاصمة خوارزم ، فقال كعب يسجّل هذه الغزوة الموفّقة وكان يزيد بن المهلّب حاصر المدينة في ولايته الأولى ، فلم يقدر على فتحها ، واستعصت عليه فهجاه لذلك أقذع هجاء ، ودمغه بالتّقصير ، وغمزه بأنّه هو وأخوته وآباءه وأجداده لا يعنون في الحرب ، لأنّهم مزارعون محترفون لا محاربون متمرّسون ، وأعلى قتيبة عليهم لرجولته ومضاء عزيمته ، مما أتاح له إدراك ما عجزوا عن إدراكه ، فقد قهر الترك ، وغنم غنائم كثيرة ، وزعها بين جنوده ، ورجاله ، ورجاله طول العمر ، حتّى يفتح سمرقند ، مثلما فتح خوارزم يقول في أولها [49] :

رُمْتُكَ فيلٌ بما فيها وما ظَلَمَتْ رامَها قبلك الفَجْفَاجةُ الصَّلِفُ

لا يُجْزِئُ الثَّغْرَ خَوَّارُ القَنَاة وَلا هَشُّ المكاسِر والقَلبُ الّذي يَجِفُ

هل تَذْكُرونَ ليالي التُّرك تَقتُلُهُمْ ما دون كازَةَ والفَجْفَاجُ مَلتَحِف

لم يَرْكَبُوا الخيلَ إلا بعد ما كبروا فَهمْ ثِقَال على أكتافِها عُنُفُ

أنتم شباس و مرداذان محتقرٌ وبسْخرَاء قُبورٌ حشْوُهَا القُلَف

إنّي رأيتُ أبا حفص تُفَضّلُهُ أيامُهُ ومَسَاعِي الناسِ تَخْتَلِفُ

قيْس صَريح و بعضُ الناس يجْمَعُهُمْ قُرىً وريف فمنسوبٌ ومُقْتَرَف

---

[48] – يُنظر ، تاريخ الطّبري 6 / 469 – 470 .

[49] – ينظر ، تاريخ الطّبري 6 / 471 ، الأصفهاني ، الأغاني14 / 282 .

لو كنتَ طاوَعت أهلَ العجز ما اقتَسَمُوا

سبعِين ألفاً وعِوء السّغْدِ مزُّتَنِف

وفي سمرقندَ أُخرى أَنت قاسِمُهَا لئن تأخَّر عن حوبائك التَّلَفُ

ما قَدَّمَ الناسُ من خيرٍ سبقتَ به ولا يَفوتُك مما خلَّفُوا شَرَفُ

وفي السّنة نفسها أغار قتيبة بن مسلم على سمرقند ، وخلص على مشارفها وحدودها معركة ضد الصّفد ، وأهل الشّاس ، وفرغانة ، فانكسروا أمامه أسوأ انكسار فنزل مدينتهم ، ولم يفارقها إلا بعد أن حطم الأوثان وشيّد مجسداً وترك بها رابطة عربية ، فقال كعب يمدح بطولته وسطوته على أعدائه ، وهو يعجب من كثرة غزواته الّتي لم تنخذل في غزوة منها ، ويعجب من كثرة ما يفوز من النّهاب فيها ، ويصف ما ألحقه بالصّفد من هزائم متتالية ، فإذا هم مشردون عن ديارهم ، وإذا هم بين والد جريح الفؤاد يتفجع لموت ولده ، وابن كسير النّفس يصرخ لغياب أبيه [50] :

كل يومٍ يحوي قتيبةُ نَهباً ويزيدُ الأموالَ مالاً جديداً

باهليٌّ قد أُلبس التّاج حتّى شاب منه مفارقٌ كنّ سُودا

دَوَّخ الصّغدَ بالكتائب حتّى ترك الصّغدَ بالعراءِ قُعودا

فوليدٌ يَبْكِي لفقدِ أبيهِ وأبٌ مُوجّعٌ يبكي الوليدا

كلَّما حلَّ بلدةً أو أتاها تركت خيلُهُ بها أُخْدُودا

لاشكّ أن هذا الدّور الإعلامي واقعي دقيق ، يكشف عن صدق التّعبير المبني على الواقع المحسوس ، إذ إنّ الممدوح يستحق هذا المدح لدوره القيادي والرّيادي في إدارة عمليات عسكرية جريئة موفّقة ، بغض النّظر عن تحوّل الشّاعر الخطير ، وتنازله عن تعصبه لقبيلته الأزد ، ولكنّه واقع أليم من ناحية أخرى ، وكان بإمكانه أن يؤدّي هذا الدّور بصورة أفضل تليق بصفته فارس مغوار ، وشاعر مُفْلق يُعجب بالبطولات

[50] – تاريخ الطّبري ، 6 / 480 .

وينتشي بالانتصارات ، ويوظّفها مدافعاً عن حقّ قبيلته ، كان بإمكانه أن يكتفي بذلك ، لكنه عرّض بالمهالبة تعريضاً قبيحاً أزرى فيه بشرفهم وكرامتهم .

هذا التّحوّل الخطير أثّر سلباً في دوره الإعلامي ودفاعه عن قومه في هذه الفترة الحرجة ، وهنا يُطرح سؤال لِمَ هذا التّحوّل المفاجئ ؟!

قد يعود ذلك إلى فترات الهدوء المحدود ، الّتي كانت تخفّ فيها حدّة المنافسة بين القبائل العربية ، وهي السّنوات الّتي كان يستولي فيها الإعداد للحرب والانهماك فيها على كلّ أوقات القبائل ووجداناتها وعقولها ، ويشغلها عن المشاحنة والمسابقة ، وعن أي شيء سواها ، فهذا الموقف آن ، وتخلّ قصير عن عقيدته وفلسفته القبلية ، فهو أزدي متعصّب مغرور ، فهذا التّغير الطّارئ يمكن أن يُردّ إلى انفعاله الشّديد بانتصارات قتيبة الباهرة ، فهذه البطولات وتلك الانتصارات أثارته وأخرجته عن طوره ، بل سحرته سحراً أفضى به إلى هيجان عاطفي نسي معه شخصيته وفلسفته ، ولم يتذكّر فيه انتماءه لقبيلته ، وممّا يؤيّد هذا التّفسير أنّه حينما رجع يزيد والياً على خراسان للمرة الثّانية ، وعلم أنّه غضب عليه وأضمر شراً له لانتقاصه إياه ، هرب إلى عُمان وأخذ يرسل القصائد إليه يعتذر فيها عما فرّط ، وأنّه أذنب ذنباً عظيماً لجهله وتسرعه ويعترف بأن قتيبة الّذي كان يكره المهالبة ، هو الّذي استعداه عليه وأغراه بعيبه [51] .

والحق أنّه وفّق في مدحه لقتيبة ، ولم يوفّق البتّة في الطّعن في نسب يزيد والسّخرية منه ، وقد أشاد به من قبل وكان بإمكانه الاكتفاء بإعلاء قدر قتيبة ، وبذلك يرضي نزعته البطولية ، ولا يلتفت البتّة إلى يزيد لا بخير ولا بشرّ على أقل تقدير ، ولو أنّه أشاد به من خلال مدحه لقتيبة لكان خيراً ، وأحسن تصرّفاً ، ولكن الهيجان العاطفي أعمى بصره وبصيرته ، فانزلق في مهاوي الخطأ والتناقض ، ومن ثم خاض في بحر لجيّ من النّدم ، ولات ساعة مندم .

والحق – أيضاً – أنّه وفّق في مدحه لبني تميم ، فمع تهوّره في تحيزه للأزد ولجاجته في التّمدح ، بل التّبجّح بهم ، فإنّه لم يتجاهل ولم ينسَ بني تميم ولم يقلّل من مكانتهم ، فقد كانوا أضخم كتلة عربية بخراسان وكانوا يخلصون في قتالهم للتّرك مع جميع الولاة وفي كلّ الغزوات ، وكان يبصر بعينيه حفاظهم الصّلب ،

[51] – يُنظر ، د. حسين عطوان ، الشّعر العربي بخراسان ، ص 165 ، والأصفهاني ، الأغاني 14 / 275 .

وجهادهم العنيد عن العرب ، فأرغمته حقيقتهم وأفعالهم على الإقرار بضخامتهم وشجاعتهم بخاصّة يوم أن أسرعوا لإغاثة العرب المحاصرين بقصر الباهلي من أعمال سمرقند ، ونجحوا في فكّ الطّوق الّذي ضربه التّرك عليهم ، وتمكّنوا من تحريرهم فقال كعب في عظمتهم وبطولتهم ، معترفاً معجباً [52] :

أتاكَ أتاكَ الغوث في برقِ عارضٍ دروع بَيْضٌ حَشْوُهنّ تميمُ

أبَوا أن يضمُّوا حشو ما تجمعُ القُرى فَضَمَّهُمُ يومَ اللقاءِ صَميمُ

ورِزْقُهمُ من رائحاتٍ يزينُها ضروعٌ عريضاتُ الخواصرِ كومُ

وتتصاعد صورة البطولة والشّجاعة عند كعب من خلال وصفه الموفّق والدّقيق للقلاع والحصون الّتي اخترقها البطل واجتاز موانعها بكلّ قوّة وثقة لإظهار قدراته وإمكانياته .

فتح يزيد بن المهلّب قلعة باذغيس ، وقد كان نِيزَك ينزل بها ويعظمها فإذا رآها سجد لها ، وكان يزيد قد تحيّن غزوَه ، ووضع عليه العيون ، فبلغه خروجه ، فخالفه يزيد إليها وبلغ نيزك ، فرجع فصالحه على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله [53] ، فقال كعب يثني على بطولة يزيد [54] :

وباذَغيسُ الّتي من حلّ ذُرْوَتها عزَّ الملوكَ فإن شا جَار أوْ ظَلما

منيعةٌ لم يَكِدْها قبله ملكٌ إلا إذا وَاجَهَتْ جيشاً له وجَما

تخَالُ نيرانها منْ بُعد مِنظرها بعضَ النّجوم إذا ما ليلُها عَمّا

لما أطافَ بها ضاقت صدورهُمُ حتّى أقرّوا له بالحُكم فاحتكما

فذلَّ ساكِنَها من بَعدِ عِزَّتهِ يُعطي الجِزَى عارفاً بالذل مُهتضَما

و بعد ذلك أياماً نعدّدها وقبلها ما كَشَفْتَ الكرب والظّلما

---

[52] – تاريخ الطّبري 7 / 493 .

[53] – يُنظر ، المصدر نفسه 6 / 386 – 387 .

[54] – المصدر نفسه 6 / 386 – 387 ، ود. نوري القيسي ، شعراء أمويون2 / 416 – 417 .

أعطاك ذاك وليُّ الرّزق يَقْسِمُهُ بين الخلائق والمحرومُ من حُرما

يداك إحداهما تُسقي العدو بها سَمّاً وأُخرى نداها لم يزَلْ دِيَمَا

فهل كَسَيْبِ يزيدَ أوْ كنائِلِهِ إلا الفراتُ وإلا النِيلُ حين طَما

ليسا بأجوَد منه حينَ مَدّهِماً إذ يعلوَانِ حداب الأرض والأكَما

وفي ذلك توظيف إعلامي موفّق ، يُظهر من خلاله قدرات يزيد البطولية ، في إطار وصف دقيق لقلعة شاهقة منيعة عصيّة لم تُقهر من قبل وقد دلّل على منعتها بارتفاع بنائها إلى درجة يظن النّاظر إليها أنّ أضواءها تتراءى في اللّيل المظلم كأنّها نجوم متلألئة ، ومع ذلك لم تمتنع على يزيد فأنزل بأهلها الذّل والهوان ، فأذعنوا له كارهين وأدّوا ما فرضه عليهم من جزية صاغرين .

ولم يكتف بهذا العرض الإعلامي ، فأضفى على الممدوح صورة أخرى من صور البطولة فهو سمّ زعاف لأعدائه ، كريم لا يضاهيه في الكرم سوى الفرات والنّيل .

وفي ذلك بيان بأنّ البطولة والانتصارات في ساحة المواجهة قد اقترنتا بقيمة خُلقية محمودة عند العرب فكان الكرم لاسيما إكرام الجار وحمايته الإطار الّذي وفّق فيه الشّاعر في إخراج البطولة الحربية ومنحها الجانب الأخلاقي [55] ، يقول في أبيات أخرى يصف القلعة الشّاهقة الّتي تطاول أعنان السّماء ولا يصل إليها إلا النّسور ، لإظهار قدرات الممدوح القيادية ، والعسكرية ، والسّياسية والخُلقية [56] :

ثَنائي على حيّ العتيك بأنَّها كِرامٌ مقاريها كِرامٌ نصابُها

إذا عقدوا للجارِ حَلَّ بِنجْوةٍ عزيز مَراقيها ، منيع هضَابُها

نَفَى نيزَكا عن باذَغيْسَ ونيزكٌ بمنزلة أعيا الملوكَ اغتِصابُها

مُحَلقَةٍ دونَ السّماء كأَنّها غمَامةُ صَيف زلّ عنها سحابُها

---

55 – يُنظر ، خليل إبراهيم ، معاني البطولة في شعر كعب بن معدان ، ص 422 .

56 – تاريخ الطّبري 6 / 387 ، ود. نوري القيسي ، شعراء أمويون 2 / 390 .

ولا يبلُغ الأَرْوى شماريخَها العلا ولا الطيرُ إلا نسرُها وعُقابها

و ما خُوفَتْ بالذئب وِلْدانُ أَهلها ولا نَبَحَتْ إلا النّجومَ كِلابُها

تمنّيتُ أن ألقى العتيكَ ذوى النُّهى مُسلّطة تُحمى بملكٍ ركابُها

كما يتمنى صاحبُ الحرثِ أُعطشَت مَزارِعُهُ غيثاً غَزيراً رَبابُها

فَأُسقىَ بعد اليأس حتّى تحَيَّرَتْ جَدَاولها رِيّاً وَعبّ عبابُها

لقد جمع الله النّوى وتَشعَّبَتْ شعُوبٌ مِنَ الآفاقِ شَتى مآبها

وفي ذلك تأكيد على ما ذهب إليه الباحثون من أنّ البطولة الحقيقية عند العرب اكتسبت معانيها المتميّزة والبارزة من خلال منحها البعد القيمي – إذا جاز التّعبير – فكانت بالنّتيجة مزيجاً من البطولة في توظيف السّلاح ومستلزمات المواجهة الأخرى وحسن استخدامه فضلاً عن الجانب الأخلاقي عند المحاربين ، فهي بهذا المعنى " مزيج لا ينفصل من البطولة الحربية المادية والبطولة المعنوية الخُلقية " [57] .

ويؤكّد الشّاعر كعب في موضع آخر القيمة نفسها (الكرم) في معرض إشادته بالأبطال ، فكرم هذا البطل غمر الجميع دون استثناء وهي إشارة إلى استحقاقه كي يكون بطلاً للجميع ، فكانت بطولاته وانتصاراته سبباً لتعميم الكرم والخير على الآخرين ، وبهذا يُفهم أنّ هذا البطل قد تحوّل إلى مصدر خير للنّاس ومنح ذلك بُعداً جديداً للبطولة الّتي لا تعني الغزو واغتصاب حقوق الآخرين ، بل هي قوّة جديدة لهم تستحق أن تكون موضع تقدير واستبشار بها ، فهو القائل بحقّ المهلّب بن أبي صفرة [58] .

شَفَيْتَ صدوراً بالعراقين بعدما تجاوبَ فيها النائحاتُ الصَّوادحُ

مَدَدْتَ النّدى والجودَ للنّاسِ كلَّهمْ فهم شرّعٌ فيه صديقٌ وكاشِحُ

---

[57] – يُنظر ، طرّاد الكبيسي ، شعراء الحرب عند العرب ، ص 55 .

[58] – د. نوري القيسي ، شعراء أمويون 2 / 393 .

ويستمر كعب في توظيف الكرم عنصراً متجانساً لإعطاء البطولة بُعدها الحقيقي ولا يكتفي بحدود لها ، بل يتجاوز الحدّ الطّبيعي ليجعل من ممدوحه البطل إنساناً غير اعتيادي إلى درجة المبالغة فيه ، فإلى هذا ذهب في قوله عند مدحه المغيرة بن المهلّب [59] .

كم حاسدٍ لك قد عطّلت همّته مغرى بشتم صروف الدّهر والقدر

كأنّما أنت سهمٌ في مفاصله إذا رآك ثنى طرفاً على عورِ

كم حسرةٍ منك تردي في جوانحه لها على القلب مثل الوخز بالإبر

أنت الكريم الفتى لا شيء يشبهه لا عيب منك سوى أن قيل من البشر

هكذا وجد كعب أنّ الكرم إلى جانب متطلبات البطولة المادية عناصر متفاعلة تمنح بالنّتيجة صاحبها المواصفات المؤهّلة لهذا التّقويم العالي بين الرّجال ، فالكرم رافد مهم من روافد إخراج المقاتل بصورة البطولة المطلوبة ، ففي أبيات أخرى يرى أنّ الحزم إلى جانب الكرم أمران متلازمان ضروريان لتحقيق تلك الصّورة ، يقف السّلاح إلى جانبهما ليمنح العملية شكلها النّموذجي ، وبذلك تتحقّق المتطلّبات المادية والمعنوية للبطل ، ويتحقّق لكعب نجاحه الإعلامي في ذلك ، إذ يقول [60] .

رأيت يزيداً جامعَ الحزم والنّدى ولا خير فيمن لا يضرُ وينفعُ

أصابَ بقتلى في جروز قصاصها وأدركَ ما كانَ المهلّبُ يصنعُ

فدى لكم آل المهلّب أسرتي وما كنتُ أحوي من سوامٍ وأجمعُ

فليس امرئ يبني العُلا بسنانه كآخر يبني بالسّواد ويزرعُ

وليزداد دوره الإعلامي وضوحاً في إبراز البطولة عن طريق خلطه بالكرم واصل الطّريق في ضمّه إلى القيم الأخرى أسلوباً من أساليب تجسيم الصورة وحشد الصّفات كي تأخذ الحالة بُعداً أوسع وأبلغ ، فقد

---

[59] – المصدر نفسه 2 / 411 .

[60] – المصدر نفسه 2 / 412 .

أضاف الكرم إلى رجحان العقل والأخلاق الحميدة الّتي ورثّها بطله ، فكان ذلك تعبيراً عن الأصالة ونقاء المنبت والمجد ، تمثّل ذلك في مدحه المفضل بن المهلّب في مثل قوله [61] :

ترى ذا الغِنَى والفَقر من كلّ مَعشَرٍ عصَائِبَ شتَّى يَنْتَوونَ المفضّلا

فمن زائرٍ يرجُو فواضِلَ سَبْبِهِ وآخرَ يقضِي حاجَه قد ترحَّلا

إذا ما انتَوَينا غيْر أرضكَ لم نَجِد بها منتوى خيَراً ولا مُتَعَلَّلاَ

إذا ما عَدَدنا الأَكرَمين ذَوِي النُّهى وقد قدّموا من صالحٍ كنت أوّلا

لعَمْري لقد صالَ المفضّلُ صَوْلَةً أباحَتْ بشُومانَ المناهل والكلا

و يوم ابن عبَّاس تناولتَ مثلها فكانت لنا بين الفَريقين فَيْصَلا

صَفَتْ لك أخلاقُ المهلّبِ كُلُّها وسُرْبِلَت من مَسْعاتهِ ما تَسَربلا

أَبُوك الّذي لم يسْع ساعٍ كسعيِه فأَوْرثَ مَجْداً لم يكن مُتَنحَّلا

وفي مدحه للمهلّب في الأبيات الّتي ذكرناها آنفاً جمع بين سمات الشّجاعة الحربية والقيم الخُلقية ، إذ ختم أبياته بقوله :

ما قدّم النّاس من خير سبقت به ولا يفوتك مما خلّفوا شرفُ

المهلّب قائد بطل شجاع صاحب قلب لا يعرف الخوف ، استمد قوّته من قوة آبائه وشجاعتهم ، وأفعاله وسمعته العريضة الّتي تمتدّ على مساحة أيامه ، فضلاً عن النّسب الّذي منحه رافداً آخر من روافد الشّجاعة والبطولة ، كلّ ذلك جعله في مقدّمة القادة الشّجعان ، والرّجال الأبطال ، فأصالة النّسب واحد من المعاني الرّئيسة الّتي سعى إلى إبرازها في صورة أبطاله ، لما يؤدّيه هذا المعنى من تأثير عميق ودافع إضافي

[61] - تاريخ الطّبري 6 / 397 – 398 ، ود. نوري القيسي ، شعراء أمويون 2 / 414 – 415.

يمنح البطل زخماً كبيراً مثلما يؤكّد أهليته لبلوغ هذا المستوى من الفعل المؤثّر [62] ، لذا عمد كعب إلى الإشادة بهذا المعنى ، حيث أشاد بقتيبة بن مسلم في الأبيات الّتي – ذُكرت آنفاً – ومنها [63] :

باهليّ قد ألبس التّاج حتّى شاب منه مفارق كُنّ سودا

وبذلك يكون كعب قد أدّى دوراً إعلامياً ناجحاً ، فهو واحد من الشّواهد التّاريخية في حقبة من حقب تاريخ هذه الأمة من خلال شعره الّذي وظّفه لتوثيق المواقف والمعاني البطولية الّتي وقف عندها عن كثب ، حين لازم الأحداث الّتي مرّ بها ملازمة الموثق الحقيقي ، فسجّل ما أبصرته عيناه وأحسّ به قلبه تسجيلاً دقيقاً ، فقد عاش تفاصيل المعارك الجهادية بكل تفاصيلها ، وأفرغ أحاسيسه وأحاسيس ممدوحيه شعراً بصدق واضح وتعبير ينم عن تحسّس عالٍ بمسؤولياته ، لذا زخر شعره بمعاني البطولة وقيمها بتفصيل عميق ، فهو ابن الميدان ، يقف في الصّفوف الأولى ، ملازم تفاصيل الحدث المعبّر عنه ، ناطق إعلامي به ، بل محلّل عسكري يمزج بين البطولة الحربية المادية ، والبطولة المعنوية الخُلقية ، ممّا أضفى على شعره حيوية وحركية .

الفصل الثّالث

الهجاء واللّوم والشّماتة ، والاعتذار والشّكوى

احتدم الهجاء في العصر الأموي احتداماً شديداً بسبب العصبيات القبلية ، ولم تحتدم هذه العصبيات في البصرة ، فقد انتقلت إلى خراسان ، لأنّ أكثر جيوشها كانت تتألّف من جند البصرة ، فهم الّذين ابتدأوا فتحها منذ عهد الخليفة الثّاني عمر بن الخطاب τ ثمّ توالت بعد ذلك كتائبهم وفرقهم ، فكان من الطّبيعي أن تنعكس بها نيران العصبيات ، الّتي ازدادت تأجّجاً بسبب المنافسة على قيادة الجيوش

62 – يُنظر ، د. خليل إبراهيم ، معاني البطولة في شعر كعب بن معدان 2 / 422 – 425 .

63 – يُنظر ، د. نوري القيسي ، شعراء أمويون 2 / 303 .

وولاية الثّغور ، فالوالي كان يولي عماله وقواده من قبيلته وأحلافها ، فإذا تولى المهالبة – مثلاً – قدّموا رجال الأزد ، وربيعة ، واليمن على حساب قيس ، وتميم وإذا تولّى قتيبة بن مسلم الباهلي – مثلاً – رفعت قيس وتميم رؤوسها وانتكست الأزد وأحلافها .

لم تقف المسألة عند ذلك ، فإنّ القبائل في الحلف الواحد كثيراً ما اختلفت وتحاربت بسبب الاختلاف على الغنائم .

ومن نافلة القول أنّ أنواع الهجاء تعدّدت عند شعراء خراسان وفقاً لتنوع أسبابه وغاياته .

النّوع الأول : سلطة الشّعراء على العمال المتردّدين المتهاونين الّذين كانوا ينتوون الغزو ويستعدّون له ويشرعون فيه ، ثمّ يرجعون مهزومين منه ، وكأنّما كان الشّعراء لهؤلاء الخائبين بالمرصاد ، يراقبون خططهم العسكرية ، ونتائج معاركهم ، فإذا نجحوا فيها احترموهم وقدّروا ما حقّقوه من كسب عسكري ، وإذا فشلوا صبّوا عليهم جام غضبهم وعيّروهم وشهّروا بهم .

وأغلب الظّن أنّ الشّعراء لم يبتغوا من هذا النّوع من الهجاء الحطّ من قيمة مهجوّيهم فحسب ، بل كانوا يبتغون منه إلهاب غرائزهم حتى يتلافوا أسباب الهزائم ، والتّقصير ويكثفوا استعدادهم ، استعداداً لتحقيق الانتصارات في المعارك المقبلة .

ونوع ثانٍ : من الهجاء كانت بواعثه وأهدافه شخصية ، كأن يتُعقّب الوالي المنحرف من الشّعراء ويُعاقب ، أو يقطع لأحدهم عهداً على نفسه ، ينقضه ويغدر به ، فحينئذ كان الشّاعر ينقضّ على الوالي بالهجاء ويسلبه كلّ فضيلة يتغنّ بها العربي ، وينسب إليه كل رذيلة ينفر منها السّيد الأبي انتقاماً لنفسه منه .

ونوع ثالث : دوافعه ومقاصده قبلية أو حزبية فهو يعود من ناحية إلى تناقض مصالح الحلف الواحد ، وتفسّخ قبائله وتصارعها ، وانطواء كلّ قبيلة على نفسها ، ومن الشّواهد على ذلك الهجاء الّذي تقاذف

به كعب وزياد الأعجم بسبب شرّ وقع بين الأزد وعبد القيس ، حرب أخمد لهيبها المهلّب وأصلح بينهم [64] .

دافع كعب في كثير من أهاجيه عن الأزد والمهالبة ، فقد كان لا يهتضم المساس بهم ، أو التّشكيك في مقدرتهم الحربية وقدراتهم العسكرية ، أو النّقد والتّوجيه لهم حتّى من المشرفين عليهم ، بل من المسؤولين عنهم ، فقد ذكر صاحب الأغاني أنّه في أثناء محاربة المهلّب للأزارقة ، كتب إليه الحجّاج يأمره بمناجزتهم ، ويَسْتَبْطِئه ويضعّفه ويعجزّه في تأخير أمرهم ومطاولتهم ، فردّ المهلّب بأنّه المسؤول عن كلّ ما يفعل ، وأنّه يدير أمر الحرب كما يرى ، فإن أمكنته الفرصة انتهزها ، وإن لم تمكّنه توقف [65] ، فاستلهم كعب إجابة المهلّب في سبق إعلامي ، فراح يستخفّ رأيه ، ويرميه بأنّه لا يُحسن القتال ، وينصحه في كثير من السّخرية بالعكوف على ملاهيه وجواريه فتلك صناعته الّتي برع فيها ، يقول [66] :

إنّ ابنَ يوسفَ غرّه من غزوكم خَفْضُ المقام بجانب الأمصارِ

لو شاهدَ الصّفَينِ حين تَلاقيا ضاقت عليه رَحِيبةُ الأقطارِ

من أَرض سابور الجنودِ وخَيلُنا مثل القِداحِ بَرَيْتَها بشفارِ

من كلّ خنذيذٍ يُرى بلبانه وَقعُ الظُّباة مع القَّنا الخَطّارِ

ورأى مُعاودةَ الرّباعِ غنيمةً أزمان كان مخالفَ الإقتارِ

فدعِ الحروبَ لِشيبها وشبَابها وعليكَ كلّ خريدةٍ مِعطارِ

أسلوب إعلامي حاذق لائق ، أشدّ ذكاء وأكثر إيجاعاً ، يُعجب القرّاء والسّامعين ، ويشف صدور قوم متعصّبين ، ويغيظ قلوب آخرين ، فعندما بلغت هذه الأبيات الحجّاج كتب إلى المهلّب يأمره بإشخاص كعب إليه ، فأعلم المهلّب كعباً بذلك وأوفده إلى الخليفة عبد الملك بن مروان من تحت ليلته، وكتب إليه

---

64 - يُنظر ، د. حسين عطوان ، الشّعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، ص 198 .

65 - الأصفهاني ، الأغاني 14 / 273 – 274 .

66 - المصدر نفسه 14 / 274 .

يستوهبه منه ، فقدم كعب على عبد الملك ، واستنشده فأعجبه ما سمع منه ، فأوفده إلى الحجاج ، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفو عنه ويعرض عما بلغه من شعره ، فلما وصل إليه ودخل عليه قال : إيه يا كعب . ورأى معاودة الرَّباع غنيمة .

فقال له : أيها الأمير ، والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها ، وما يُورِدناه المهلّب من خطرها ، أن أنجو منها وأكون حجّاماً أو حائكاً ، فقال له الحجاج : أولى لك ، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع ، فالحق بصاحبك ، وردّه من وقته [67] .

وفي ذلك تأكيد على حبّه للأزد والمهالبة ، وتعصبّه الشّديد لهم ، فهو يعتز لهم وبقائدهم المظفّر المهلّب ، وببطولاته وصولاته وخبرته العسكرية وحنكته القيادية ، كما يؤكّد على حبّه للفروسية والإقدام .

وهجا كعب قبيلة عبد القيس ، فقد ذكر صاحب الأغاني أنّ زياد الأعجم هاجى كعباً ، واحتدم الهجاء بينهما ثم غلبه زياد ، وكان سبب ذلك أنّ شراً وقع بين الأزد وبين عبد القيس ، حرباً سكّنها المهلّب وأصلح بينهما وتحمّل ما أحدثه كلّ فريق على الآخر

وأدّى دياته [68] ، فقال كعب يهجو عبد القيس ساخراً [69] .

إنّي وإن كنتُ فرع الأزد قد علموا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالي

فهم أبو مالك بالمجد شرّفني ودنّس العبد عبد القيس سِربالي

وأزدرى بحسبهم وقدرتم القتالية في مثل قوله [70] :

لعلَّ عُبيد قيس تحسب أنّها كتغلب في يوم الحفيظة أو بَكرِ

يُضعضع عبد القيس في النّاس منصب دنيٌّ وأحسابٌ جُبرن على كسرِ

---

67 - الأصفهاني ، الأغاني 14 / 274 .

68 - يُنظر ، الأصفهاني ، الأغاني 14 / 270 .

69 - المصدر نفسه 14 / 270 .

70 - المصدر نفسه 14 / 271 .

إذا شاع أَمرُ النّاس وانشقَّت العصا فإنّ لكيزاً لا تريش ولا تبري

وتهكّم عليهم في مثل قوله [71] :

ثوى عامينِ في الجيَف اللواتى مطَرّحةٍ على باب الفصيلِ

أَحَبُّ إليَّ من ظِلٍّ وكِنٍّ لعبد القيس في أصل الفَسِيلِ

إذا ثار الفساءُ بهم تغنُّوا ألم تَربَعْ على الدّمنِ المثول

تظلّ لها ضباباتٌ علينا موانعُ من مَبيتٍ أو مَقيلِ

وفي ذلك ضرب على وتر حساس ومؤثّر ، إذ إنّ التّهكّم من أشدّ أنواع الهجاء ، ومن خلاله يحقّق الشّاعر أهدافه ، وبذلك يكون كعب قد أدّى دوراً إعلامياً مهمّاً ومؤثّراً ، فقد رفع من شأن قبيلته ، وأزرى بقبيلة عبد القيس ، ونال منهم ، وكذلك فعل مع بعض العشائر اليمنية (ربيعة واليمن) المتحالفة مع قومه [72] فقد شكا من تقاعسهم ، وتذمّر من أنّها أصبحت عبئاً يثقل كاهل قومه الأزد ، وحثّ يزيد بن المهلّب على الاستغناء عنها ، وعلى إسقاط عبد القيس معها ، وفي ذلك يقول[73] :

لا تَرْجُونّ هِنائياً لصالحةٍ واجعلهمُ وَهداداً أُسْوَةً الحُمُرِ

حيَّان ما لهما في الأزدِ مأثرةٌ غير النُّواكةِ والإفراطِ في الهَذَرِ

واجعل لُكيزاً وراءَ النّاس كلّهم أَهْلُ الفُسَاءِ وأهل النَّتَنِ والقَذَرِ

قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهم حتّى ترانا له مِيَداً من السُّكُر

---

[71] – المصدر نفسه 14 / 272 .

[72] – يُنظر ، الأصفهاني ، الأغاني 14 / 272 – 273 .

[73] – المصدر نفسه 14 / 273 .

أبلغ يزيد بأنّا ليس ينفعنا عيشٌ رغيدٌ ولا شيءٌ من العِطرِ

حتّى تحلَّ لكيزاً فوق مَدْرَجَةٍ من الرياحِ على الأحياءِ من مُضَرِ

ليأخذوا لنزارٍ حظَّ سُبَّتها كما أخذنا بحظّ الحِلف والصّهرِ

ولأنه فارس أبيّ ، يرفض الذّل والهوان ، ويحب قومه الأزد الذين صالوا وجالوا وصنعوا الأمجاد ، قال موبّخاً لرجال بكر الذين يقبلون سيادة الأغنياء عليهم ، لا أهل الحميّة والحفيظة فيهم ، فإذا هم يجبرونهم على الاستكانة للظلم ، واستساغة الضّيم [74] :

لقد خاب أقوامٌ سَرَوْا ظُلَمَ الدُّجى يؤمّون عمراً ذا الشّعير وذا البُرِّ

يؤّمون مَن نالَ الغنى بعد شيبةٍ وقاسى وليداً ما يُقاسي ذوو الفقر

فَقُل للُجَيْمٍ يا لبكرِ بن وائلٍ مقالةَ من يَلْحَى أخاه ومَن يُزري

فلو كنتمُ حيّاً صميماً نَفَيْتمُ بخيلكُم بالرَّغم منه وبالصُّغر

ولكنّكم يا آل بكر بن وائلٍ يسودكُم من كان في المال ذا وفر

هو المانعُ الكلب النّباحَ وضيفُهُ خميصُ الحشا يرعى النُّجومَ الّتي تسري

وكان من الطّبيعي أن يسلك كعب سلوك ثابت بن قطنة الشّاعر الأزدي المتعصّب الذي حرّض المهلّب بن أبي صفرة على حجر المناصب الإدارية الرفيعة والتافهة للأزد ، وعنّفه حين رآه يوظّف بعض الموالي في مركز صغير ، وهاج حين أعفا أسد القسري من حكم سمرقند ، ولامه ، فقد عزل عمرو بن عمير اليَحْمري ، وهو شيخ من شيوخ الأزد ، لأنّه رضي بمنصب أرفع يليق بمقامه ، لأنه ليس أقل من شيوخ

[74] – المصدر نفسه 14 / 280 - 181 .

ربيعة الذين كانوا يشغلون أكبر المراكز ، ولم يزل يهجيه حتى ردّ عهد يزيد عليه ، فحرمه من الوظيفة سنة [75] يقول [76] .

لقد فازتْ ربيعةُ بالمعالي وفاز اليحمديُّ بعهد زَمّ

فإن تكُ راضياً منهْم بهذا فزادَك ربُّنا غمّاً بغمّ

إذا الأزديّ وضَّحَ عارضاه وكانت أمُّهُ مِن حيّ جَرْم

فثمّ حماقةٌ لا شكَّ فيها مُقابلةٌ فمن خالٍ وعمّ

ولم يتردّد في مخاطبة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، منددّاً بموظفي الخراج والجزية بخراسان في خلافته تنديداً قصد منه دون ريب إلى مهاجمته مباشرة ، لأنّه اتّهم يزيد بن المهلّب بسرقة المبالغ الطائلة من بيت المال بخراسان ، وأعفاه من ولايتها وسجنه ، حيث قال [77] :

إنْ كنتَ تحفظُ ما يَليكَ فإنّما عُمَّالُ أرضِكَ بالبلادِ ذِئابُ

لن يستجيبُوا لِلَّذِي تَدعُو لهُ حتَّى تُجَلَّدَ بالسُّيوفِ رِقابُ

بأَكُفِّ مُنْصلِتينِ أَهلِ بصائرٍ في وقْعهنَّ مَزاجِرٌ وعِقابُ

هلاَّ قُريش ذُكِّرتْ بثُغُورِها حزمٌ وأحْلامٌ هُناكَ رِغابُ

لوْلاَ قرَيْشٌ نَصْرُهَا ودِفاعُها أُلْفِيتُ مُنْقَطِعاً بِيَ الأَسْبابُ

وقد ذكروا أن عمر لما سمع بهذا الشعر أعجب به وقال : " إنه لم يكن يظنّ أن في فوق عُمان من يقول مثله " [78] .

---

[75] – يُنظر ، الأصفهاني ، الأغاني 14 / 277 .

[76] – المصدر نفسه 14 / 277 .

[77] – الأصفهاني ، الأغاني 14 / 277 .

الهدف من هذا الهجاء القبلي والسّياسي الدّفاع عن الأزد ، ونقض تخرّصات خصومهم التي عابوا بها زعماءهم والمحافظة على مصالح الأزد والدّعوة إلى احتجاز كلّ فائدة لهم ، والدّعوة إلى إعادة النظر في سيادتهم مع حلفائهم ابتغاء اتباع أسلوب جديد ينسجم مع مواقف كلّ حليف منهم [79] .

أغلب الظّن أنه أدّى دوراً إعلامياً مهمّاً ومؤثّراً في مثل هذا اللون من الهجاء ، فقد حقّق أهدافاً وسجّل مواقف تصبّ في معين قبيلته ، نابعة من فروسيته ، وأنفته وكبريائه وتعصبه لقومه .

اعتذار وشكوى

أطلق كعب في آخر حياته صرخة إعلامية من عُمان عبر الأثير من أعماق قلبه الكسير ، معبّراً عن خطيّة في حقّ أناس أمضى عمره في الثّناء عليهم والاعتزاز بهم ، فقد نظم عدّة مقطوعات صوّر فيها آلامه النّفسية ، وهمومه الذّاتية ، وما جلبه عليه ذمّه للمهالبة في ولاية قتيبة بن مسلم من خوف وتشرّد وانكسار ، وضياع وافتقار ، يقول في إحداها واصفاً عزمه على الرّحيل من مرو الشّاهجان إلى عُمان ، للاختفاء بها ، والافلات من احتمال بطش يزيد بن المهلّب [80] :

وإني تاركٌ مرواً ورائي إلى الطّبسَين * مُعتامٌ عُمانا

لآوي مَعقِلاً فيها وحِرزاً فكنّا أهل ثَروتها زَمانا

---

78 – الجاحظ ، البيان والتّبيين 3 / 313 .

79 – يُنظر ، د. حسين عطوان ، الشّعر العربي في خراسان ، ص 274 – 275 .

80 – الأصفهاني ، الأغاني 14 / 275 .

* – الطبسين : يعني الطّبسَان : قصبة بين نيسابور وأصبهان ، والعرب تسميها باب خراسان ، لأنها كانت أوّل فتوحاتهم . معجم البلدان 4 / 20 .

يقول في مقطوعة ثانية معبّراً عن سوء حاله بعُمان ، ومكفّراً عمّا ارتكبه من جرم شنيع بتشويه سيرة المهالبة ، ومعلناً تصريحاً إعلامياً خطيراً تمثّل في أن قتيبة هو الّذي خدعه وغرّر به ، فعابهم وثلبهم ، بعد انقطاعه إليهم خمسين عاماً ، يدعو لهم ويدافع عنهم ويثني عليهم ، وطالباً العفو منهم ، حتىّ يعود إليهم ، ويعيش بين أكنافهم ، يقول :

بئسَ التّبَدّل من مروٍ وساكِنها أرض عُمان وسُكنى تحت أطوادِ

يُضحي السّحاب مطيراً دون مَنصِفها كأنّ أجبال عُلّتْ بِفرْصادِ

يا لهفَ نفسي على أمرٍ خَطِلتُ به وما شَفَيتُ به غِمري وأحفادي

أفنيتُ خمسين عاماً في مديحكُم ثم اغتررتُ بقول الظّالم العادي

أبلغ يزيدَ قرين الجودِ مأكلة بأنّ كعباً أسيرٌ بين أصفادِ

فإن عفوتَ فبيتُ الجود بيتكمُ والدّهرُ طوران من غنيٍّ وإرشادِ

وإن مننتَ بصفحٍ أو سمعتَ به نزعتُ نحوكَ أطنابي وأوتاري

وفي ذلك تعبير عن أصالة الحالة وصدق التّعبير ، ممّا أعطاها بعداً إضافياً وإطاراً يكاد يكون شمولياً ، وقد أجاد في طلب العفو من ثنايا الثّناء على جودهم وحسن صفحهم ، فجلّ من لا يخطئ .

ولم يكتف بذلك فأخذ في مقطوعة ثالثة يشكو ويبكي لغربته وبؤسه ، فقد بلغ من الكبر عتيا ، واصطلحت عليه الأسقام والأدواء ، فأصبح يعاني من همين : صحته المتردّية ، وثروته النّافذة ، واحتاج وأملق ، وأخذ يترقّب الموت بين لحظة وأخرى حيث يقول [81] :

يا قوم غَيّرني وأذهبَ قوتي دهرٌ ألحّ بطارفي وتِلادي

[81] – حماسة البحتري ، ص 152 .

فكأنّما في المالِ نارٌ باشرتْ حرثاً قد أذنَ أهلُهُ بحصادِ

كِبَرٌ ووقعُ حوادثٍ نزلتْ بنا والفقرُ بعد كرامةٍ و مِهادِ

تغتالُ كلّ مؤجّلٍ أيامُهُ وَتسيرُ بهجةُ ما ترى لِنفَاذِ

لا مجال لهذا الفارس العزيز إلا أن يذرف الدّموع ويبث الشّكوى ندماً على ما فرّط من حقّ ، وطمعاً في عفو وصفح يحفظ كرامة عزيز قوم ذل .

والجدير بالذّكر أنّه مكث في عُمان سبع سنين ، ولم يصلنا من شعره خلال هذه الفترة الطّويلة سوى المقطوعات الّتي بعثها ليزيد يعتذر له ، وأبيات لام فيها عمر بن عبد العزيز – تقدّم ذكرها – .

ترى هل بقي الأشقري طوال هذه المدّة ساكناً ومهملاً شأن الفريقين ؟ أو أنّ ركود الحياة في عُمان هو السّبب في قلّة نظمه .

كل هذا جائز ، وليس ببعيد ، كما ذهب د. الهادي الغزّي إلا أنّه مال إلى أنّ ركود الحياة وقلّة دواعي نظم الشّعر بعُمان جعله يصرف نفسه – أو قل ينصرف عن هذا الضّرب من القول – لاسيما أنّه يتبرّم بموطنه الجديد أشدّ التّبرم ويضيق به أكثر الضّيق [82] ، فهو فارس يخوض غمار المعارك بكل شجاعة واقتدار ، يرصد الأحداث العسكرية وسير المعارك .

كما ذهب الأستاذ نفسه إلى أنّ شعر الأشقري في هذه المدّة ، مدّة إقامته بعُمان ضاع ، ولم ينته إلينا لسبب أو لآخر [83] .

وهذا أيضاً جائز ، إذ إنّه عاش حالة نفسية قاسية بعيداً عن موطنه ، خائفاً يترقّب ، فكان من الطّبيعي أن تجود قريحته بشعر فيّاض ، يعبّر فيه عن سوء حاله ، وعن طول ليل بطيء الكواكب .

---

82 – الشّعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، ص 181 .

83 – المرجع نفسه ، ص 182 .

وخلاصة القول أنّ كعباً أدّى دوراً إعلامياً تاريخياً من خلال قصائده الطّوال ، الّتي نظمها في أجواء هادئة ونقّحها وهذّبها ، وأظهر قدرات ممدوحيه القيادية والسّياسية والعسكرية والخُلقية ، فشعره في المديح يجري على نهج الشّعراء الفرسان ، ويسير على نسقهم ، فقد رصد الأحداث العسكرية ، الّتي سايرها بسيفه ولسانه بكلّ صدق وواقعية ، ممّا أضفى على شعره حيوية وحركية .

وهو بذلك يختلف عن شعراء عصره ، الّذين كانوا يصدرون بيانات إعلامية سريعة ، للاستهلاك المحلي – إن صحّ التّعبير – لأنّهم كانوا يخشون أن تسبقهم الأحداث ولا يكون لبياناتهم أهمية ، ولا قيمة لقبائلهم ، أمّا هو فكان يكتب للتّاريخ ، فأخرج عملاً فنياً كاملاً مفصّلاً ، امتاز بجمال الصّياغة وروعة النّسج .

دفعه غروره وعصبيته إلى التّركيز في مديحه للمهلّب وبنيه إلى التّركيز على سياستهما ومقدرتهما العسكرية ، والتّغافل عن قادة الجيش الّذين كانوا يتحمّلون أعباء الزّحف والقتال وإن أثنى على بطولة فرسان يزيد ، ولكن بقدر ، كما أنّه تغافل عن مدح بني أمية ، واكتفى بمدح عاملهم الحجّاج ، وأشار على استحياء إلى أحقّيتهم بالخلافة .

كان مديحه لقومه من أجل الدّفاع عنهم والمطالبة بحقوقهم ، فهم يستحقّون أعلى المراتب ، وهذا لا يمنع من أنّه سعى من مدحه إلى كسب مالي ، مستغلاً – فيما يبدو – بشرى الانتصارات ليحقّق هذا الغرض ، وإن كان ذلك في إطار ضيق ومحدود .

يُردّ تحوّله الخطير إلى انفعاله الشّديد بانتصارات قتيبة الباهرة وحسن قيادته وذكائه في إدارة العمليات العسكرية الّتي أخرجته عن طوره وسحرته ، بل أعمت بصره وبصيرته في ظل حالة استثنائية استغلها قتيبة وغرّر به وخدعه ودفعه إلى السّخرية من المهالبة ، فأثّر ذلك سلباً على دوره الفريد في الدّفاع عن قومه ، فكانت الصّرخة الإعلامية من عُمان عبّر فيها عن خطيئة لا تليق بفارس شاعر له مكانته بين قومه ، لذا لم تكن النّهاية مسكاً ، إذ أمضى بقية حياته مشرّداً خائفاً يترقّب .

وأغلب الظّن أنّه أدّى دوراً إعلامياً مهمّاً ومؤثّراً في هجائه القبلي السّياسي ، وحقّق أهدافاً وسجّل مواقف تصبّ في معين قبيلته ، نابعة من فروسيته وأنفته وكبريائه وتعصّبه الشّديد لقومه وحبّه لهم والمحافظة على حقوقهم .

المصادر والمراجع

1.القرآن الكريم (المصحف الرّقمي) .

- الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسن بن محمّد القرشي (ت 356هـ).

2.الأغاني ، دار الثّقافة ، بيروت 1956 م .

- البحتري : أبو عبادة الوليد عبيد (ت 284 هـ) .

3.حماسة البحتري ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى 1387هـ - 1967م .

- البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ) .

4.الفَرق بين الفِرق ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت لبنان ، ط الأولى 1393 هـ - 1973 م .

- الجّاحظ : أبو عثمان بن عمر بن بحر بن محبوب (ت 255 هـ) .

5.البيان والتّبيين ، حقّقه وشرحه حسن السّندوبي ، المكتبة التّجارية الكبرى ، دار الفكر ، بيروت لبنان (بلا تاريخ) .

- أبو حاقة ، د. أحمد .

6.فن المديح وتطورّه في الشّعر العربي ، منشورات دار الشّروق ، ط الأولى (بلا تاريخ)

- حسين ، طه .

7.حديث الأربعاء ، دار المعارف بمصر ، 1952 م .

- ابن خلدون ، عبد الرّحمن (ت 808 هـ) .

8.المقدّمة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى 1978م

- أبو داود ، سليمان بن الأشعث الأزدي السّجستاني (275هـ) .

9.سنن أبي داود ، تعليق عزّت عبيد الدّعاس ، وعادل السّيد ، دار الحديث ، حمص ، سورية ، ط الأولى 1394هـ - 1974م .

- ابن دريد ، أبو بكر محمّد بن الحسن الأزدي البصري (ت 321هـ) .

10. جمهرة اللّغة ، نشر مؤسّسة الحلبي ، القاهرة (بدون تاريخ) .

- الدّينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282 هـ) .

11. الأخبار الطّوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدّين الشّنّاوي ، انتشارات آفتات تهران ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ،الأولى 1960 م .

- الزرّكلي : خير الدّين .

12. الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت لبنان ،ط الثّانية تموز (يوليو) 1989م.

- الزّوزني ، القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 486هـ) .

13. شرح المعلّقات السّبع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى 1425هـ - 2004م .

- الشّهرستاني : أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548 هـ).

14. الملل والنّحل ، تحقيق محمّد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنّشر ، بيروت لبنان ، الطّبعة الثّانية ، أُعيد طبعه بالأوفست 1395 هـ - 1975م.

- ضيف : د. شوقي .

15. العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر ، ط الثّانية 1963 م .

- الطّبري : أبو جعفر محمّد بن جرير (ت 310 هـ) .

16. تاريخ الرّسل والملوك ، تحقيق محمّد أبو الفضل ، دار المعارف بمصر 1963 م .

- عطوان ، د. حسين .

17. الشّعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، مكتبة المحتسب عمّان ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى ، 1974م .

- الغزّي ، د. الهادي حمودة .

18. الشّعر الأموي في خراسان والبلاد العربية ، الدّار التّونسية للنّشر ، مؤسّسة الوحدة للنّشر والتّوزيع ، الكويت ، 1955م .

- ابن فارس ، أحمد (ت 350هـ) .

19. مجمل اللّغة ، تحقيق الشّيخ هادي حسن حمودي ، منشورات المخطوطات العربية ، ط الأولى 1405هـ ، 1985م .

- القيسي : د. نوري حمّودي .

20. شعراء أمويون ، مطابع مؤسّسة دار الكتب للطّباعة والنّشر ، جامعة الموصل (بلا تاريخ)

- الكبيسي ، طرّاد .

21. شعراء الحرب عند العرب ، دار الحرية للطّباعة ، بغداد ، 1973م .

- المرزباني : أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى (ت 384 هـ) .

22. معجم الشّعراء ، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج ، دار إحياء الكتب العربيّة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر 1379 هـ - 1960 م .

- منصور ، د. سعيد حسين .

23. القيم الخُلقية في الخطابة العربية ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط الأولى 1991م .

- ابن منظور : جمال الدّين محمّد بن مُكرَّم الأنصاري (ت 711 هـ) .

24. لسان العرب ، طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق ، المؤسسة المصريّة العامّة للتّأليف والأنباء والنّشر ، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة (بلا تاريخ) .

- النّص ، د. إحسان .

25. العصبيّة القبلية وأثرها في الشّعر الأموي ، دار اليقظة العربية للتّأليف والتّرجمة والنّشر ، لبنان ، 15 كانون الثّاني ، 1963م .

- ياقوت الحموي ، الشّيخ شهاب الدّين أبو عبد الله (ت 626هـ) .

26. معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1397هـ - 1977م .

الدّوريات :

- عبد الوهاب ، خليل إبراهيم .

1. معاني البطولة في شعر كعب بن معدان الأشقري ، مجلة ديالي ، العدد السّادس والعشرون 2007م